



تذكرة

المقاتل والمرابط

في سبيل الله

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

٢٠٢٥م



الكتاب: تذكرة المقاتل والمرابط في سبيل الله
المؤلف: قسم الدراسات والأبحاث بمؤسسة القلم للفكر والثقافة
عدد الصفحات: ٢٤٧ صفحة
الطبعة الثانية: ٢٠٢٥

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة القلم للفكر والثقافة
- تصريح وزارة الإعلام والثقافة والسياحة بموجب القرار الإداري
رقم (٤) بتاريخ ٠١/٠٥/٢٠٢٤ م
- تصريح مكتب وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل م/مأرب رقم
(٤٤٧) بتاريخ ٠٤/١٧/٢٠١٩ م
الجمهورية اليمنية – مأرب – شارع الأربعين - جوار فندق السلطان
ifo@qdf-ye.org – www.qdf-ye.org

نبذة عن المؤسسة

مؤسسة القلم للفكر والثقافة، مؤسسة أهلية غير حكومية من مؤسسات المجتمع المدني. مقرها حالياً مأرب، يشمل نطاق عملها كافة محافظات الجمهورية، ويتركز نشاطها على الجانب الفكري والثقافي، أنشئت بمقتضى أحكام قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية رقم (١) للعام ٢٠٠١م وتصريح رقم (٤٤٧)، أسسها مجموعة من الأكاديميين وذوي الخبرة والاختصاص، لتكون واحدة من أهم مصادر الفكر والثقافة والحفاظ على الهوية الوطنية ومصدر من مصادر تنوير مجتمع متعاون متآلف بعيداً عن الغلو والتشدد والطائفية والعنصرية.

رؤيتنا

الريادة في نشر الفكر المعتدل وتعزيز القيم الإسلامية والوطنية على مستوى اليمن، والحفاظ على الموروث والتراث الثقافي الوطني.

رسالتنا

تسعى مؤسسة القلم للفكر والثقافة لتحقيق التنمية المستدامة وتنمية الوعي المجتمعي وترسيخ الهوية الوطنية والمساهمة في الحفاظ على الموروث والتراث الثقافي الوطني، من خلال تنسيق الجهود والشراكة مع الجانب الحكومي والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني والمجتمعات المحلية.

أهدافنا

١. الحفاظ على الهوية الوطنية وتعزيز القيم النبيلة للمجتمع اليمني.
٢. المساهمة في الحفاظ على الموروث والتراث الثقافي الوطني.
٣. مواجهة أفكار الكراهية والتمييز والعنصر ونشر قيم العدالة والمساواة في المجتمع اليمني.
٤. الإسهام في تطوير التعليم وتجويد مخرجاته.
٥. تشجيع الدراسات والبحوث والتدريب على المهارات في شتى مجالات الحياة.
٦. تشجيع ورعاية الموهوبين والمتفوقين في الجانب الفكري والثقافي.
٧. تعزيز دور المرأة في المجتمع وتشجيع تعليم الفتاة.
٨. تشجيع المبادرات الطوعية في مجال التعليم والثقافة والتوعية بالقيم النبيلة.

من إنجازات المؤسسة:

١. إنتاج البرنامج التلفزيوني الحواري "هوية وطن" وبثه عبر قناة اليمن الفضائية والاذاعات المحلية في مأرب وشبوة وسيئون شارك فيه عدد من العلماء والأكاديميين وتم من خلاله كشف الكثير من جوانب زيف الفكر الحوثي.
٢. إنتاج البرنامج التلفزيوني "أباطيل الكهنوت" لتفنيد أكاذيب الفكر الحوثي، وبيان زيف ادعاءاتهم، وتم بثه على قناة اليمن الفضائية.
٣. إنتاج بعض الفلاشات التمثيلية (الخمسة، تحريف المناهج) القصيرة التي توضح جوانب من زيف الفكر الحوثي والتحذير منه وبثت في عدد من القنوات الفضائية.
٤. تحليل المناهج الدراسية لعدة سنوات سابقة، تم من خلاله تعرية جرائم الحوثي الفكرية في المناهج الدراسية وخطورتها على هوية الأجيال ونشر ذلك في ندوات بثت عبر عدد من القنوات الفضائية.
٥. طباعة كتاب "ألغام سلالية في المناهج الدراسية" من عدة أجزاء يتضمن تحريف الحوثي للمناهج الدراسية وتم توزيعه على نطاق واسع.
٦. إقامة عشرات الندوات الفكرية التي تتناول خطر الفكر الحوثي على هوية اليمن وتوضح جوانب من زيف الفكر الحوثي والتحذير منه.
٧. إعداد كتب فكرية توعوية ونشرها مثل كتيب "لماذا يقاتل اليمنيون مليشيات الحوثي" وكتاب "تذكرة المرابط والمقاتل في سبيل الله" الطبعة الأولى، وكتاب "الحوثية أباطيل المنهج وإرهاب المسيرة" الطبعة الأولى والثانية.
٨. طباعة كتب فكرية وثقافية وتوعوية مثل كتاب "جناية ادعاء الحق الالهي على اليمنيين" ورواية "المآذن الباكية".
٩. دعم فريق الأنشطة المدرسية التابع لمكتب تربية مأرب للقيام بزيارات توعوية لمدارس المحافظة.
١٠. الإشراف على بعض المراكز الصيفية في مأرب.
١١. الشراكة مع عدة مؤسسات ومنظمات في إقامة أنشطة ثقافية متنوعة.

للمزيد من المعلومات حول مؤسسة القلم للفكر والثقافة يمكنكم زيارة موقعنا على شبكة الانترنت www.QDF-YE.org او حساباتنا على شبكات التواصل الاجتماعي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ

شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾

[سورة المزمل،: ١٩، سورة الإنسان،: ٢٩]

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾

[سورة المدثر، الآية: ٤٩]



فهرس المحتويات

١٣	مقدمة.....
	الفصل الأول أهداف وفضل الرباط والقتال في سبيل الله
١٥	أولاً: أهداف القتال في الاسلام.....
١٩	ثانياً: فضل القتال في سبيل الله.....
٢٠	(١) هو التجارة الرباحة مع الله وأعظم صفقة في الوجود:.....
٢٢	(٢) طريق مضمون إلى الجنة:.....
٢٤	(٣) درجات المجاهدين أعظم الدرجات عند الله:.....
٢٥	(٤) فضل الله المجاهدين على القاعدين:.....
٢٥	(٥) الجهاد فتنة واختبار:.....
٢٦	(٦) لا يعدل الجهاد شيء من الاعمال في الفضل:.....
٢٨	(٧) الجهاد ذروة سنام الإسلام:.....
٢٨	(٨) الغدوة او الروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها:.....
٢٩	(٩) جهاد المسلم خير له من العبادة ستين سنة:.....
٣٠	ثالثاً: فضل الرباط والحراسة في سبيل الله.....
٣٢	(١) رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها:.....
٣٣	(٢) المرابط ينمو له عمله بعد موته إلى قيام الساعة:.....
٣٣	(٣) والمرابط يؤمن من النار ومن الفرع الأكبر:.....

- ٤) الرباط خير من صيام وصلاة التطوع: ٣٤
- ٥) من مات مرابطاً آمنه الله تعالى عذاب القبر: ٣٤
- ٦) الرباط أفضل من مجاورة الحرمين الشريفين: ٣٥
- ٧) إذا مات المرابط في رباطه بعثه الله يوم القيامة شهيداً: ٣٧
- ٨) للمرابط في سبيل الله أجر من خلفه: ٣٧
- ٩) رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل: ٣٨
- ١٠) رباط يوم في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود: ٣٨
- رابعاً: فضل الحراسة في سبيل الله ٣٩
- خامساً: فضل الشهادة في سبيل الله ٤٠
- ١) أرواح الشهداء تسرح في الجنة في أجواف طير خضر: ٤٠
- ٢) الشهداء في الجنة: ٤١
- ٣) الشهيد لا يجد ألم الموت الشديد: ٤١
- ٤) يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين: ٤٢
- ٥) أفضل الشهداء في الغرف العلاء من الجنة: ٤٣
- ٦) الشهيد يتمنى العودة إلى الدنيا ليقتل في سبيل الله عدة مرات: ٤٣
- ٧) يشفع الشهيد في سبعين من آل بيته: ٤٤
- ٨) للشهيد عند الله ست خصال: ٤٥
- ٩) تُظَلُّهُ الملائكة بأجنحتها: ٤٥
- ١٠) للشهداء دار خاصة: ٤٥

- سادساً: فضل الغبار في سبيل الله..... ٤٦
- سابعاً: فضل الخوف في سبيل الله ٤٨
- ثامناً: فضل الكلم (الجرح) في سبيل الله ٤٩
- تاسعاً: من يدرك فضل الجهاد وأجر المجاهد ٥١
- (١) من جهز غازياً: ٥١
- (٢) من خلف غازياً في أهله: ٥٢
- (٣) حفر الخنادق والأنفاق وإعداد المتارس وإصلاح الطريق: ٥٢
- (٤) صانع السلاح المحتسب: ٥٣
- (٥) الممد به: ٥٣
- (٦) دافع ثمن السلاح أو القذائف: ٥٣
- (٧) الطبيب والممرض الذي يرعى الجرحى: ٥٤
- (٨) من يقوم بإسعاف الجرحى: ٥٤
- (٩) من يمول المجاهدين بالغذاء والدواء وغير ذلك: ٥٤
- (١٠) من يقوم على رعاية المهجرين والأرامل والأيتام: ٥٥
- (١١) الصحفيون والإعلاميون: ٥٥
- (١٢) المخذلون الأعداء: ٥٧
- (١٣) المحامون والحقوقيون: ٥٧
- (١٤) المخططون للمعارك والمبصرون للمقاتلين: ٥٧
- (١٥) الشعراء والادباء والكتاب: ٥٨

- ٥٨..... (١٦) الآباء والامهات الصابرون المحتسبون:
- ٥٩..... (١٧) الشعب الذي يحتضن المجاهدين ويدعمهم:
- ٦١..... (١٨) جميع الأعمال المساعدة والريفة للمعركة:
- ٦٢..... عاشراً: فضل الإنفاق في المعركة

الفصل الثاني أخلاق وآداب القتال في سبيل الله

- ٦٦..... أولاً: أخلاق وآداب القتال قبل خوض المعركة
- ٦٦..... (١) الإخلاص لله تعالى:
- ٧٠..... (٢) الثقة بنصر الله:
- ٧٦..... (٣) البعد عن العُجب والبطر والرياء:
- ٧٨..... (٤) عدم الخشية من حشود الأعداء وعتادهم:
- ٨٢..... (٥) مبايعة الجيش على الثبات وعدم الفرار:
- ٨٣..... (٦) إعداد العدة:
- ٨٥..... ثانياً: أخلاق وآداب القتال أثناء المعركة
- ٨٥..... (١) الثبات وعدم الفرار:
- ٨٨..... (٢) حرمة الفرار:
- ٩٦..... (٣) ذكر الله كثيراً:
- ٩٧..... (٤) اللجوء إلى الله تعالى والاستغاثة به:
- ٩٩..... (٥) الحفاظ على تقوى الله تعالى والازدياد منها:
- ١٠١..... (٦) تجنب المعاصي والمخالفات:

- ٧) الأمانة وعدم أخذ عتاد وممتلكات وغنائم الجيش: ١٠٤
- ٧) الصبر والمصابرة والمرابطة: ١١٨
- ٨) الانضباط والطاعة: ١٣٠
- ٩) عدم التنازع والخلاف: ١٣٦
- ١٠) عدم التسرع في نقل الاخبار ونشر الصور من أرض المعركة: ١٤٣
- ١١) مواجهة الارجاج والمرجفين وعدم اصطحابهم إلى الجبهة: ١٤٧
- ١٢) عدم الإنصراف من المعسكر أو الجبهة إلا بإذن: ١٤٩
- ١٣) المبادرة في عرض الخدمات على القادة: ١٥٠
- ١٤) تنشيط المقاتلين بالأناشيد: ١٥٢
- ١٥) عدم قتل غير المقاتلين: ١٥٢
- ١٦) الحذر من جواسيس العدو: ١٥٤
- ١٧) العناية بجرحى المسلمين وموتاهم أثناء المعركة: ١٥٤
- ثالثاً: أخلاق وآداب القتال بعد انتهاء المعركة ١٥٦
- ١) إظهار التجلد للعدو ولو أحرز انتصاراً على المجاهدين المسلمين: ١٥٦
- ٢) شكر الله وحمده عند احراز الانتصارات واستشعار فضله وعونه. .. ١٥٧
- ٣) بعض آداب القتال العامة: ١٥٩
- ٤) عدم قتل الرسل: ١٥٩
- ٥) تأمين من طلب من المحاربين تسليم نفسه والكف عن القتال ١٦٠
- رابعاً: واجبتنا نحو أسرى الشهداء والجرحى والمعاقين ١٦٢

- ١٦٢ (١) رعاية أسر الشهداء:
- ١٦٦ (٢) رعاية الجرحى والمعاقين:
- ١٦٧ (٣) رعاية الأسرى والمختطفين:

الفصل الثالث: أخلاق وآداب رجل الأمن

- ١٧٣ (١) الإخلاص لله تعالى:
- ١٧٥ (٢) الرفق واللين وحسن التعامل:
- ١٧٨ (٣) العدل والمساواة والالتزام بالقانون:
- ١٨١ (٤) الصدق:
- ١٨٤ (٥) الثبوت وعدم التسرع:
- ١٨٧ (٦) حماية الأرواح والأعراض والممتلكات:
- ١٩٣ (٧) الصبر والتحمل:
- ١٩٦ (٨) العفة والنزاهة:

الفصل الرابع أحكام وأدعية تهمة المقاتل والمرابط في سبيل الله

- ٢١١ أولاً: أحكام فقهية تهمة المقاتل والمرابط في سبيل الله:
- ٢١١ (١) شراء السلاح للمجاهدين أولى أم شراء الطعام للمهجرين؟
- ٢١٢ (٢) جهاد المقصرين أو العصاة:
- ٢١٤ ثانياً: مسائل فقهية متنوعة
- ٢٢٣ الأعذار الموجبة للفطر في رمضان:

- الأعدار المجوزة للفطر في رمضان: ٢٢٤
- أهم أحكام التلفون المحمول ٢٢٩
- ثالثاً: أدعية المقاتل والمرابط في سبيل الله ٢٣٨
- (١) ما يقوله المجاهد وهو يجهز سلاحه ويهيئ نفسه للخروج للقتال: ... ٢٣٨
- (٢) ما يقوله عند خروجه من بيته: ٢٣٨
- (٣) الإستعاذة من العجز والجبن والكسل: ٢٣٨
- (٤) ما يقوله إذا نزل قرية او بلدة: ٢٣٩
- (٥) ما يقوله إذا وصل إلى موضع رباطه: ٢٣٩
- (٦) أدعية الاستنصار على الأعداء: ٢٣٩
- (٧) ما يقال عند بدء القتال: ٢٤١
- (٨) الدعاء عند الرمي: ٢٤٢
- (٩) دعاء من خاف عدواً: ٢٤٣
- (١٠) ما يقال إذا رجع من غزوه ورباطه: ٢٤٣
- المصادر والمراجع ٢٤٤

مقدمة

بعد أن تعرضت البلاد للبغي والظلم والإرهاب توجه الكثير من أبناء هذه الأمة للقيام بواجبهم في الذود عن دينهم وأمتهم ووطنهم، وبدأت تسري روح الجهاد فيهم من جديد يحذوهم الأمل في إنقاذ الأمة ورفع الضيم عنها، وأصبح كثير من المقاتلين والمرابطين في سبيل الله وغيرهم في حاجة إلى ما يعينهم ويوضح لهم الكثير مما يتعلق بالقتال والرباط في سبيل الله من فضل وأهداف وأحكام وآداب وأخلاق فكان التفكير في إعداد هذا الكتيب، أملاً في المساهمة في ضبط توجهات وممارسات العمل الجهادي وما يتعلق به، وتوجيهه إلى الطريق الصحيح في التعااطي الشرعي مع هذا العمل العظيم والمهمة المباركة.



الفصل الأول

أهداف وفضل الرباط والقتال في سبيل الله

إنَّ الجهاد القتالي في حقيقته، هو الحصن الذي لا بدَّ منه لحفظ هويَّة الأُمَّة وكيانها، وله أهداف سامية، وضوابط راقية، ليست كأَيِّ هدفٍ آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها على مرَّ تاريخها الطَّويل، القتال في سبيل الله لا في سبيل الأُمجاد والاستعلاء في الأرض، ولا في سبيل المغنم والمكاسب، ولا في سبيل الأسواق والخامات، ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس، إنَّما هو القتال لتلك الأهداف المحدَّدة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرار منهجه في الحياة، وحماية المؤمنين به أن يُفْتَنُوا عن دينهم أو أن تنتهك حرمتهم وتصادر حرياتهم، أو أن يجرفهم الضلال والفساد، وما عدا هذه فهي حربٌ غير مشروعة في حكم الإسلام، وليس لمن يخوضها أجرٌ عند الله ولا مقام.



أولاً:

أهداف القتال في الإسلام

وتتلخص أهداف القتال في الإسلام في الآتي^{(١)(٢)}:

١ - حماية الحرمات (الدين والنفس والعرض والعقل والمال) ومن الحرمات حماية الأرض التي يقيم المسلمون حكم الله عليها، ومن الحرمات الدفاع عن المال الذي تقوم به حياة الشخص، ويرفعه عن ذل الفقر والحاجة، وقد اعتبر الرسول ﷺ القتل في سبيل هذه الحرمات شهادة، فقال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»^(٣). وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك». قال أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله».

-
- (١) الجهاد في سبيل الله؛ مكانته، وأحكامه، وآدابه، محمد جميل المصطفى؛ (ص: ٤٤).
 - (٢) الجهاد الإسلامي المعاصر حسني أدهم جرار دار البشير، عمان: الأردن (ص: ٤٠).
 - (٣) سنن الترمذي، (٤/٢٢) رقم: (١٤٢١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وسنن النسائي، دار الكتاب العربي بيروت، (٧/١١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، (٢/١١٠٠)، رقم: (٦٤٤٥).



قال: «أرأيت إن قتلني»؟ قال: «فأنت شهيد». قال أرأيت: إن قتلته؟ قال: «هو في النار»^(٤). وأخبر الله تعالى عن بني إسرائيل: أنهم اعتبروا القتال في سبيل الحفاظ على الديار التي يقيمون فيها، وفيها أبنائهم وأموالهم، جهاداً حيث قالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦]. ولم ينكر الله تعالى ولا أنبيأؤه اعتبار ذلك جهاداً في سبيل الله مما يدل على أن القتال دفاعاً عن المال والديار التي يقيم المسلمون عليها شريعتهم يعتبر من الجهاد في سبيل الله، وقد جاءت الأحاديث السابقة مؤيدة لاعتبار القتل في الدفاع عن المال والحرمان شهادة، كيف لا، وقد ذكر الله تعالى: أن سبب الإذن للمسلمين بالقتال هو: إخراج الكافرين لهم من ديارهم في مكة، فقال جل شأنه: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٣١) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمِعُ وَيَبِغُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

[الحج: ٣٩-٤٠].



٢- الدفاع عن المستضعفين من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ [النساء: ٧٥].

٣- تأديب ناكثي العهد، كما فعل الرسول ﷺ مع يهود بني قريظة وأمثالهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُونُوا آمِنًا مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ [التوبة: ١٢].

٤- تأمين حرية التدين والاعتقاد للمؤمنين قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْبِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

٥- تأمين الدعوة إلى الله ونشر الدين، قال الله تعالى:



﴿ وَفَنِيلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾
فَإِنْ أَنْتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ [الأَنْفَال: ٣٩]،
ومعنى أن يكون الدين كله لله: أن يكون دين الله الإسلام هو
الظاهر المسيطر والمهيمن بحيث من أراد أن يدخل في دين الإسلام
دخل بحريته لا يخاف ضغوطاً ولا تهديدات ولا مضايقات! وقال
الرسول ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله ويسيروا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا
ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم
على الله»^(١).

٦- حماية الوطن والدفاع عنه من المعتدين، ومن يريد به سوءاً

أو فتنة

ويمكن تلخيص أسباب القتال وغاياته فيما يلي^(٢):

دفع الاعتداء، والمحافظة على العقيدة، وحماية الوطن الإسلامي،
وإنقاذ المستضعفين من المسلمين، والمحافظة على العهود والمواثيق، درء
الفتن في الداخل والخارج، وتأمين نشر الدعوة، وحمايتها من كل ما
يهددها.

(١) متفق عليه؛ صحيح البخاري (١٠) رقم: (٢٥) وصحيح مسلم (٢٠) رقم: (٢٢)
(٢) الجهاد الإسلامي المعاصر، حسني أدهم جرار، دار البشير، عمان: الأردن (ص: ٤١).



ثانياً:

فضل القتال في سبيل الله

يعتبر القتال في سبيل الله من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله، فهو ذروة سنام الإسلام، وهو الحارس لمبادئ الإسلام وللحرمات والمقدسات! يفرع إليه في الملمات! به يرفع الضيم عن الأمة، وبه تحفظ كرامتها أن تنتهك أو تداس!

وبه تحفظ حرمة الدين أن تنتهك أو تشوه! وتحفظ الأعراس أن تستباح، وأموال المسلمين وثوراتهم أن تسرق أو تنهب أو تغتصب أو تستغل استغلالاً سيئاً!

وترك الجهاد يعرض الأمة المسلمة لكل المخاطر السابقة! بل وأكثر من ذلك! يسلط عليها الذل، قال الرسول ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الجهاد تحقيق كون المؤمن

(١) سنن أبي داود (٢٤٥/٣) رقم: (٣٤٦٢)، وصححه الألباني.



مؤمناً؛ لهذا روى مسلم عن النبي ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»^(١).

ونظراً لهذه المكانة العظيمة للقتال في سبيل الله فقد جعل الله للمقاتلين اجوراً وميزات عظيمة نذكر أهمها:

١) هو التجارة الربحية مع الله وأعظم صفقة في الوجود:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرْكُمْ عَلَىٰ تَحَرُّمٍ نُبِيحِكُمْ مِّنْ عَدَابِ ٱلْإِيمِ ۚ تَأْمِنُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ﴾^(١٠) يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَسَمَّاكِن طَيِّبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۗ﴾^(١١) وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۙ وَيَسِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾^(١٢) [الصف: ١٠-١٣] بل هي افضل تجارة في الوجود دلنا وارشدنا اليها خالق السموات والأرض لا تضاهيها تجارة ولا تصل إلى مستواها كل صفقات الدنيا لان المشتري هو الله والبائع هو انت أيها المجاهد المؤمن الصادق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَةِ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ: (١٩١٠).



وَالْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِيعِيكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۗ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١]
وإذا أردت أن تعرف قدر الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟
وهو الله جل جلاله. وإلى العوض، وهو أكبر الأعيان وأجلها؛
جنات النعيم. وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي
هو أحب الأشياء للإنسان. وإلى من جرى على يديه عقد هذا
التباعد، وهو أشرف الرسل. وبأي الكتب رُقم، في كتب الله الكبار
المنزلة على أفضل الخلق.

ومن عظيم كرم الله أنه صور الأمر بأنه صفقة بيع وشراء رغم
أنه الخالق المالك لكل شيء، صفقة بين الخالق وبين عبده المؤمن
والطريق لذلك هو القتال فى سبيل الله، وبين الله سبحانه فى الآية
الكرامة أن ذلك وعد منه لعباده منذ القدم وبقاى إلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها، ولذلك بينه فى جميع كتبه التى أنزلها، ويزيد فى
التأكيد فىقول: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾، فجاء الاستفهام
للتأكيد على صدق وعده الذى قطعه على نفسه فى جميع كتبه
السموية، ثم أمرهم أن يستبشروا ببيعهم هذا لأنه بيع رابح لا مجال



للخسارة فيه، بل هو الفوز العظيم قال سبحانه: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. وهذه هي التجارة الرباحية؛ لأن كل تجارة تحتمل الربح والخسارة إلا بيع المؤمن نفسه وماله لربه، فهو رابح بكل الأحوال مادام محققا لمعاني الإيمان.

٢) طريق مضمون إلى الجنة:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَكْفَلَّ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَ صَدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ...»^(١).

«تكفل» معناه: ضمن له حصول ما ذكره، فلا يمكن فواته؛

لأن الله - تعالى - إذا ضمن شيئاً فلا بد من حصوله لمن ضمنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَثَلُ

الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بَأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ

(١) أخرجه البخاري (١٠٤/٤) ومسلم والنسائي.



الْجَنَّةِ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ» متفق عليه^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرَجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بِي وَتَصَدِيقٌ بِرُسُلِي فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَيَّ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ»^(٢).

وَعَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فَوَاقٍ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ نَكِبَ نَكْبَةً، فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرٍ مَا كَانَتْ: لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ، وَرِيحُهَا كَالْمِسْكِ»^(٣).

وعن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كتب إلى عمر بن عبيد الله حين خرج إلى الحرورية: أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس، فقال: «يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٧) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٣) رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.



فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»^(١).

٣) درجات المجاهدين أعظم الدرجات عند الله:

قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة»^(١).

ومرتبة الحصول على رضوان الله أعظم درجة في الجنة

قال تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢]

(١) البخاري رقم: (٣٠٢٤)، فتح الباري (١٥٦/٦) ومسلم (١٣٦٢/٣).

(١) البخاري مع فتح الباري (١١/٦) وأخرجه البخاري (٢٧٩٠).



٤) فضل الله المجاهدين على القاعدين:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥].

٥) الجهاد فتنة واختبار:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ١٦].

أي ما كان الله سبحانه ليترككم حتى يعلم - علم الواقع - من منكم يؤمن إيماناً يؤهله للجهاد في سبيل الله، فإن ظننتم أن الله تارككم بدون ابتلاء وبدون أن يختبركم ويمحصكم فيجب أن تعرضوا عن ذلك وتفهموا ما يقابله.

والعلم هنا المقصود به علم الواقع وليس العلم الأزلي لأن العلم الأزلي بلا شك يعلمه الله ولكنه لا يكون حجة على البشر فكان هذا الاختبار^(١).

(١) الجهاد في الإسلام، محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث، القاهرة، (ص: ١٢٣).



والمراد بالوليحة في الآية بطانة السوء التي تدخل على المؤمنين الضعاف وتتخلل نفوسهم ليفشوا اسرار المؤمنين، وهو أمر ممنوع يعلمه الله وداخل في الاختبار والفتنة^(٢).

٦) لا يعدل الجهاد شيء من الاعمال في الفضل:

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ذلني على عمل يعدل الجهاد، قال: (لا أجده)، وقال: (هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك، فتقوم ولا تفتر، وت صوم ولا تفطر؟) قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه: «إن فرس المجاهد ليستنُّ في طوله»^(٣) هذا الصحابي السائل كان يعلم فضل الجهاد، فأراد - والله أعلم - أن يدلّه الرسول صلى الله عليه وسلم على عمل يساويه يستطيع المداومة عليه في غير وقت الحرب. أو أنه إذا عجز عن مباشرة الجهاد الذي علم فضله يأتي بالعمل الذي يعدله وهو يقدر عليه، وفي كلتا الحالتين هو يدلُّ على حرص الصحابة رضي الله عنهم على زيادة العلم بالأعمال التي لها فضل كبير ليزاولوها وينالوا من الله ثوابها.

(٢) المرجع السابق (ص: ١٢٥، ١٢٦).

(٣) أي يذهب ويجيء في مرح ونشاط وهو مربوط في حبله، البخاري رقم الحديث:

(٢٧٨٥)، فتح الباري (٤/٦)، ومسلم (٣/١٤٩٨).



وقد أجابه الرسول ﷺ بجوابين، كل منهما يدل على فضل الجهاد العظيم: الجواب الأول قوله: (لا أجده) أي لا أجد عملاً يعدل الجهاد وهو واضح في أفضلية الجهاد على ما سواه من الأعمال.

الجواب الثاني: قوله: (هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجداً، فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟)، وهذا الجواب كذلك يدل على أفضلية الجهاد على ما سواه من الأعمال، لأن القيام المستمر الذي لا فتور معه، والصيام المتواصل الذي لا إفتار معه غير مستطاعين، كما أجاب بذلك السائل رسول الله ﷺ: (ومن يستطيع ذلك؟) وأقره الرسول ﷺ على هذا الجواب.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمانٌ بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حجٌّ مبرور»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة

(١) صحيح البخاري برقم: (٢٦)، وصحيح مسلم برقم: (٨٣).



حَدَّثَنَا أَن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجَعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

٧) الجهاد ذروة سنام الإسلام:

روى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن حَبَابٍ أَن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»^(٣).

٨) الغدوة أو الروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها:

عن أنس بن مالك حَدَّثَنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَغْدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رُوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» وفي رواية من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَنَا: «خَيْرٌ مِمَّا تَطَّلَعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرِبُ»^(٢). يخرج المجاهد في سبيل الله خَرْجَةً واحدة في أول النهار، أو خَرْجَةً واحدة

(٢) متفق عليه: البخاري كتاب الجهاد والسير باب فضل الجهاد والسير برقم (٢٧٨٥)، ومسلم، كتاب الإمامة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم: (١٨٧٨).

(٣) صحيح الترمذي الرقم: (٢٦١٦) وصححه الألباني.

(٢) البخاري رقم: (٣٧٩٢)، فتح الباري (١٣/٦)، ورقم: (٢٧٩٣) أيضاً، ومسلم



في آخره، فتكون خرجته الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها، أي عمل يعدل هذا العمل؟ وأي نشاط يقوم به الإنسان ينيله هذا الفضل الكبير؟ الجنة أفضل من جميع ما في الدنيا^(٣).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رباطٌ يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضعٌ سَوَّطٌ أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والرَّوْحَةُ يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خيرٌ من الدنيا وما عليها»^(١).

٩) جهاد المسلم خير له من العبادة ستين سنة:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ مر بشعب فيه عين عذبة، قال: فأعجبه - يعني طيب الشعب - فقال: لو أقمت ها هنا وخلوت! ثم قال: لا، حتى أسأل النبي ﷺ، فسأله فقال: «مَقَامٌ أَحَدِكُمْ - يَعْنِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ - خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ فِي أَهْلِهِ سِتِّينَ سَنَةً، أَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُؤَادَهُ نَاقَةٌ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٢).

(٣) فتح الباري (١٤/٦).

(١) البخاري رقم: (٢٨٩٢)، فتح الباري (٨٥/٦).

(٢) صحيح. رواه أبو داود وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي.



ثالثاً:

فضل الرباط والحراسة في سبيل الله

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] الرباط في كلام
العرب من «رَبَطَ» التي تدل على الشدّ والثبات، ثم استعمل
المسلمون الرباط في باب من أبواب الجهاد، حيث كانوا يلزمون
الشجر الذي يُخَشَى أن يأتي العدو منه على غرة فيهجم على
المسلمين، فسموا مَقَامَهُمْ ولُزُومَهُمْ ذلك المكان رباط، وكانهم
رُبطوا هناك فثبتوا به ولازموه.

فالرباط: هو حبسُ الرجل نفسه في الشجور وإعدادُه الأُهبَةَ
لذَلِكَ، لإعزاز الدين وإرهاب الأعداء بتكثير سواد المسلمين في
الشجر وحِرَاسَتِهِمْ، وهو فرض على الكفاية.
والمراد بالشجر من البلاد؛ موضعٌ يكونُ حداً فاصلاً بين
المسلمين والأعداء، يُخَافُ منه طروق العدو وهجومه لانتظامه
وإمكان دُخُولِ العدوِّ منه^(١).

(١) تاج العروس (٣٢٢/١٠).



وقالوا: الثغر؛ كل مكان يُخيف العدو أهلَه ويُخيف أهله العدو.

فالمرابطون بمثابة الحراس لحدود البلاد الإسلامية من هجوم الأعداء المعتدين، وكلما كان الثغر أشد خوفاً، واحتمال الخطر عليه من الأعداء أكبر: كانت المرابطة فيه أفضل وأعظم أجراً، لأن مقامه به أنفع، وأهله أحوج.

وقد جاء في ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] قال أكثر المفسرين أن المراد بالمرابطة هاهنا؛ مرابطة الغزو في نحور العدو بالترصد له والاستعداد لمحاربتة، وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: وما زال خيار المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأمراء والمشايخ يتناوبون الثغور لأجل الرباط، ولهذا يذكر من فضائلهم وأخبارهم في الرباط أمور كثيرة.

(١) تفسير الطبري (٥٠٨/٧)، وتفسير ابن كثير (٣١٧/٣).



واختار أكثر العلماء أن يربط كل قوم بأقرب الشغور إليهم، ويقاتلون من يليهم كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]. وفي السطور الآتية سرد لبعض النصوص من الكتاب والسنة التي توضح المنزلة العظيمة لطاعة الرباط عند الله وأجرها:

١) رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها:

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «رَبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرُّوحَةُ يَرْوِحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(١).

والمراد بـ «رباط يوم» أي اجر رباط يوم كما ذكره المناوي، والمقصود ان الاجر الحاصل برباط يوم خير من الدنيا بملذاتها وزهرتها وجميع ما فيها لشخص^(٢).

(١) البخاري (٢٨٩٢)

(٢) أنظر فيض القدير.



٢) المرابط ينمو له عمله بعد موته إلى قيام الساعة:

والميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله، روى مسلم فى صحيحه من حديث سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانُ»^(١).

وروى الترمذى فى سننه من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَيْهِ إِلَّا الْمُرَابِطُ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤَمَّنُ مِنْ فِتَانِ الْقَبْرِ»^(٢).

قال النووى رحمته الله: هذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجرىان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد، وقد جاء صريحاً فى مسلم: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له إلى يوم القيامة»^(٣).

٣) والمرابط يؤمن من النار ومن الفرع الأكبر:

روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا، وَوُجِيَ فِتْنَةُ الْقَبْرِ، وَأُؤْمِنَ مِنَ الْفَرَعِ

(١) مسلم برقم: (١٩١٣).

(٢) الترمذى برقم: (١٦٢١) وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

(٣) شرح النووى على مسلم (٦١/١٣).



الأكبر، وَغُدِّيَ عَلَيْهِ وَرِيحَ بَرْزُقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُرَابِطِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

أي يُؤْتَى له برزقه من الجنة في أول النهار وآخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢). قال المناوي رحمته الله: «فَعَبَّرَ بِالْجُزْءِ عَنِ الْجُمْلَةِ وَعَبَّرَ بِالْمَسِّ إِشَارَةً إِلَى امْتِنَاعِ مَا فَوْقَهُ بِالْأُولَى» اهـ^(٣).

٤) الرباط خير من صيام وصلاة التطوع:

فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «رِبَاطٌ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ»^(٤) وقال رضي الله عنه: «رِبَاطٌ شَهْرٌ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ دَهْرٍ»^(٥).

٥) من مات مرابطاً آمنه الله تعالى عذاب القبر:

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمَ عَلَى عَمَلِهِ، إِلَّا الْمُرَابِطُ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه باب: باب فضل الرباط في سبيل الله، حديث رقم:

(٢٧٨٠)، عبد الرزاق في مصنفه باب: باب الرباط، حديث رقم: (٩٣٣١).

(٢) رواه الترمذي (١٦٣٩) وأبو يعلى (٤٣٤٦) وصححه الألباني.

(٣) التيسير (١٥١/٢).

(٤) رواه مسلم (١٩١٣).

(٥) رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.



وَيُؤَمِّنُ مِنْ فَتَانِ الْقَبْرِ»^(١) قال السرخسي رحمته الله: «ومعنى هذا الوعد في حق من مات مرابطاً - والله أعلم - أنه في حياته كان يؤمن المسلمون بعمله فيجازى في قبره بالأمن مما يخاف منه. أو لما اختار في حياته المقام في أرض الخوف والوحشة لإعزاز الدين يجازى بدفع الخوف والوحشة عنه في القبر» اهـ^(٢).

وقال المناوي رحمته الله: «(من فتان القبر) أي: فتانيه: منكر ونكير، أي: لا يأتياه، ولا يختبرانه، بل يكتفى بموته مرابطاً شاهداً على صحة إيمانه» انتهى^(٣)، وورد عند النسائي (٢٠٥٣) أن رجلاً قال يا رسول الله ما بال المؤمنون يفتنون في قبورهم إلا الشهيد، قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة.

٦ الرباط أفضل من مجاورة الحرمين الشريفين:

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: هل الأفضل المجاورة بمكة أو بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم؟ أو بمسجد الأقصى؟ أو بثغر من الثغور لأجل الغزو؟

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٠) وصححه ابن حبان (٤٦٢٤).

(٢) شرح السير الكبير (٩/١).

(٣) فيض القدير (٤٤/٥).



فأجاب رحمته: «المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة كما نص على ذلك أئمة الإسلام عامة، وقال أيضًا: ما أعلم في ذلك خلافًا بين العلماء^(١).

ويقول فالثغور هي البلاد المتاخمة للعدو، التي يخيف العدو أهلها، ويخيف أهلها العدو، والمرابطة بها أفضل من المجاورة بالحرمين باتفاق المسلمين، كيف والمرابطة بها - أي في ثغور المسلمين - فرض على المسلمين، إما على الأعيان، وإما على الكفاية، وأما المجاورة فليست واجبة على المسلمين^(٢).

قال أبو هريرة رضي الله عنه لأن أرباط ليلة في سبيل الله أحب إلى من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود. وذلك أن الرباط من جنس الجهاد، وجنس الجهاد مقدم على جنس الحج^(٣).

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رحمته أيهما أحب إليك الإقامة بمكة أم الرباط في الثغور؟ فقال: الرباط أحب إلي.

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى مجموع الفتاوى (٢٨/٤١٨).

(٣) الفتاوى الكبرى ٥ (١٤٦).



٧) إذا مات المرابط في رباطه بعثه الله يوم القيامة شهيداً:

روى ابن ماجه وعبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات مرابطاً مات شهيداً ووقى فتان القبر وغدي عليه وريح برزقه من الجنة وجرى له عمله»..^(١).

٨) للمرابط في سبيل الله أجر من خلفه:

روى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أجر الرباط؟ فقال: من رباط ليلة حارساً من وراء المسلمين فإن له أجر من خلفه ممن صام وصلى»^(٢).

وقال عثمان بن أبي سودة كنا مع أبي هريرة رضي الله عنه مرابطين في (يافا) وهي مدينة معروفة في فلسطين المباركة على ساحل البحر فقال أبو هريرة رباط هذه الليلة أحب إلي من قيام ليلة القدر في بيت المقدس.

(١) سنن ابن ماجة (١٦١٥) ومصنف عبد الرزاق، والحديث صحيح. ورواه المنذري

في الترغيب والترهيب بإسناد جيد.

(٢) رواه المنذري في الترغيب والترهيب بإسناد جيد.



٩) رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»^(١).

وهذا يشمل كل المنازل حتى لو كانت مكة المكرمة أو المدينة

المنورة أو بيت المقدس على فضلها جميعا.

١٠) رباط يوم في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

«موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود»^(٢).

(١) حسن رواه النسائي.

(٢) أخرجه ابن حبان وغيره، وقال الألباني رحمهم الله جميعاً في السلسلة الصحيحة: هذا

إسناد صحيح.



رابعاً:

فضل الحراسة في سبيل الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «طوبى لعبيدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعثٌ رأسُهُ، مغبرَّةٌ قدماهُ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقاة كان في الساقاة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شُفَّع له يُشَفَّع»^(١).

أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على المجاهد في سبيل الله الذي لزم سلاحه وأعدَّ نفسه لذلك، حتى اغبرَّ جسمه، وانتفش شعره، لبعده عن الترف والتنعم والراحة، ومظهره الذي لا وجهة فيه، أثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أينما كان عمله ما دام في سبيل الله، حارساً أم في مؤخرة الجيش، وطوبى اسم للجنة ونعيمها^(٢).

والحراسة عمل من أعمال الجهاد فهي رباط وزيادة، ومن أحسن ما يدل على فضلها حديث: «عينان لا تمسهما النار».

(١) البخاري رقم: (٢٨٨٧)، فتح الباري (٦/٨١).

(٢) راجع النهاية في غريب الحديث (٣/١٤١).



خامساً:

فضل الشهادة في سبيل الله

ما ورد في فضل الشهادة في سبيل الله لا يمكن استيعابه في هذه الورقيات المحدودة، ولكن نذكر بعضاً منه على سبيل المثال لا الحصر:

١) أرواح الشهداء تسرح في الجنة في أجواف طير خضر:

سُئِلَ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؟ قال: أما إننا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن

(١) مسلم (١٨٨٧) كتاب الإمارة، والترمذي (٣٠١١) كتاب التفسير، وابن ماجه

(٢٨٠١) كتاب الجهاد، والدارمي (٢٤١٠) كتاب الجهاد.



النبي ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةِ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(١).

قال ابن كثير رحمته: «وكان الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغذى عليهم برزقهم هناك ويراح. والله أعلم».

٢) الشهداء في الجنة:

عن أنس رحمته، قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع، فقال: «ويحك أو هبلت؟ أو جننة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس»^(٢).

٣) الشهيد لا يجد ألم الموت الشديد:

(١) رواه أحمد (٢٢٦٨) وابن أبي شيبه (٥٦٣/٤) والحاكم (٢٣٦٢) والطبراني في الكبير (١٠٦٧٢) وصححه ابن حبان (٤٧٤٤).
(٢) البخاري مع فتح الباري (٢٥/٦).



فقد روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ، إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ»^(١).

قال ابن القيم رحمته: «لا يجد الشهيد من الألم إلا مثل مس القرصة، فليس في قتل الشهيد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني آدم، فمن عد مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل، بل موت الشهيد من أيسر الميتات، وأفضلها، وأعلاها».

قال المناوي رحمته: «يعني أنه تعالى يهون عليه الموت، ويكفيه سكراته وكربه، بل رُبَّ شهيد يتلذذ ببذل نفسه في سبيل الله طيبة بها نفسه».

٤) يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين»^(٢).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقال رجل فقال

(١) صحيح رواه الترمذي وغيره.

(٢) رواه مسلم.



يا رسول الله! رأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي، فقال له رسول الله ﷺ «نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر» ثم قال رسول الله ﷺ: «كيف قلت» قال رأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي فقال رسول الله ﷺ «نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك»^(١).

٥) أفضل الشهداء في الغرف العلاء من الجنة:

عن نعيم بن همار الغطفاني رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الشهداء أفضل؟ قال: «الذين إن يُلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلاء من الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه»^(٢).

٦) الشهيد يتمنى العودة إلى الدنيا ليقتل في سبيل الله عدة مرات:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى

(١) رواه مسلم.

(٢) أحمد (٢٨٧/٥) وقال الهيثمي رجال أحمد وأبي يعلى ثقات.



مِنَ الْكِرَامَةِ»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله عز وجل يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول أي رب خير منزل فيقول سل وتمن فيقول أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لولا أن رجالا يكرهون أن يتخلفوا بعدي ولا أجد ما أحملهم ما تخلفت لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل»^(٣).

٧) يشفع الشهيد في سبعين من آل بيته:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»^(٤).

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

(٢) صحيح رواه النسائي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) حسن رواه أبو داود.



٨) للشهيد عند الله ست خصال:

روى الترمذي فى سننه من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»^(١).

٩) تظله الملائكة بأجنتها:

عن جابر قال: لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشفت الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهونى، والنبي ﷺ لم ينهه، وقال النبي ﷺ: «لا تبك ما زالت الملائكة تظله بأجنتها حتى رفع»^(٢).

١٠) للشهداء دار خاصة:

عن سمرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني، فصعدا بي الشجرة، وأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل، لم أر قط أحسن منها، قال: أمّا هذه الدار فدار الشهداء»^(٣).

(١) صحيح رواه الترمذي وابن ماجه.

(٢) البخاري مع فتح الباري (٣٧٤/٧).

(٣) البخاري رقم: (٢٧٩١)، فتح الباري (١١/٦).



سادساً:

فضل الغبار في سبيل الله

عن أبي عبس عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مُنْخَرِي رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي وَجْهِ رَجُلٍ أَبْدَأَ وَلَا يَجْتَمِعُ الشَّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبْدَأَ»^(١).

(١) رواه البخاري (٢٨١١).

(٢) رواه أحمد (٧٤٨٠) والنسائي (٣١٠٧) وصححه ابن حبان (٤٦٠٧).

(٣) صحيح رواه الترمذي.

(١) صحيح رواه النسائي.



وعن مالك بن عبد الله الخثعمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار»^(٢).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجمع الله في جوف رجل غبارا في سبيل الله ودخان جهنم ومن اغبرت قدماه في سبيل الله حرم الله سائر جسده على النار»^(٣).

(٢) صحيح رواه أحمد.

(٣) حسن رواه أحمد.



سابعاً:

فضل الخوف في سبيل الله

عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما خالط قلب امرئ مسلم رهج^(١) في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار»^(٢).

وعن أم مالك البهزية رضي الله عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها قالت قلت يا رسول الله من خير الناس فيها قال: «رجل في ماشيته يؤدي حقها ويعبد ربه ورجل أخذ برأس فرسه يخيف العدو ويخيفونه»^(٣).

(١) يقصد به الفتنة والخوف ويقصد به الغبار.

(٢) صحيح رواه أحمد.

(٣) حسن رواه الترمذي.



ثامناً:

فضل الكلم (الجرح) في سبيل الله

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها كالمسك»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله يكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت تفجرت دماً، اللون لون الدم والريح ريح المسك»^(٣).

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء أحب إلي

(١) صحيح رواه الترمذي وغيره.

(٢) رواه البخاري.

(٣) البخاري مع فتح الباري (١/٣٤٤) ومسلم (٣/١٤٩٦).



الله من قطرتين وأثرين قطرة من دموع في خشية الله وقطرة دم تراق
في سبيل الله وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من
فرائض الله»^(١).

(١) حسن رواه الترمذي.



تاسعاً:

من يدرك فضل الجهاد وأجر المجاهد

إن الجهاد من أعظم أعمال الإسلام وشرعه الله لأهميته وقد يدرك أناس فضل الجهاد وأجر المجاهد بأعمال يقومون بها ومنها:

(١) من جهز غازياً:

من جهز غازياً في سبيل الله بشراء سلاح للمجاهد أو ذخيرة أو بما يحتاجه من عتاد ونفقه قال رسول الله ﷺ: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا»، ومن خلف غازياً في سبيل الله بنخير فقد غزا^(١)، وقال: «من جهز غازياً في سبيل الله، كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الغازي شيئاً»^(٢). بل قد يكون تجهيز الغازي خيراً من غزو الشخص بنفسه في حالة كون الشخص عاجزاً عن الغزو بسبب عاهة أو مرض، أو كبر سن، أو عدم لياقة، أو كان ممنوعاً من الدخول إلى أرض المعركة لسبب ما، فقد قال

(١) صحيح البخاري رقم: (٢٨٤٣).

(٢) صحيح، سنن ابن ماجه (٢/٩٢٢) رقم: (٢٧٥٩).



الرسول ﷺ في تجهيز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة كلمة لم يقلها لأي شخص آخر، قال رضي الله عنه: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين»^(١) أي: غطت حسنته اليوم على ما بدر منه من أخطاء، وعلى ما سيصدر منه، لو حصل!

٢) من خلف غازياً في أهله:

من خلف غازياً في أهله بخير ويكون ذلك: بتأمين حاجات أهل المجاهد، وحاجات بيته، ورعاية أولاده، فمن قام بذلك وما شابهه، فقد غزا، كما في الحديث السابق. قال ابن تيمية رحمته: «ويحث القعدة لعذر: أن يخلفوا الغزاة في أهليهم ومالهم»^(٢).

٣) حفر الخنادق والأنفاق واعداد المتارس وإصلاح الطريق:

لقد كان معظم جهاد المسلمين يوم الأحزاب حفر الخندق، ومراقبة نقاط الضعف التي يمكن أن يدخل منها المشركون. وقد كان من جهاد المثني بن حارثة الشيباني رحمته وبعض أصحابه - يوم معركة الجسر إعادة بناء الجسر وحراسته - حينما قطعه بعض المسلمين الجهلة لئلا يهرب الناس، وتراكم الناس إلى الجسر

(١) سنن الترمذي ٥٨٥/٥ رقم م (٣٧٠١)، وحسنه الألباني.

(٢) الاختيارات الفقهية لابن تيمية (١/٦٠٨).



المقطوع، وسقط مئات من الناس بين قتيل وغريق في الماء، فأمر المثنى أشخاصا بإعادة إصلاح الجسر المقطوع، وقام المثنى وبعض فرسان المسلمين بحماية الناس المتجمعين للعبور، حتى أصلح الجسر، وحموا ظهور الناس حتى عبروا الجسر.

٤) صانع السلاح المحتسب:

صانع السهم المحتسب الأجر، وكذلك صانع السيف، أو القذيفة، أو المدفع، وآلات الحرب الأخرى - إذا كان قد صنعه من أجل استعماله في سبيل الله - فإن كان الصانع كافرا، أو مسلما صنعه للتجارة والربح، ولا نية له في استعماله في سبيل الله فلا أجر له!

٥) الممد به:

الممد به أي من يحمل السهم أو القذيفة أو السلاح كي يوصله إلى أرض المعركة، سواء حمله بسيارته أو على ظهره، أو حمله بيديه ليوصله إلى الرامي.. وكذا كل من شارك في جلب ذلك السلاح، وتركيبه وتهيئته.

٦) دافع ثمن السلاح أو القذائف:

دافع ثمن السهم، أو القذيفة، أو المدفع فإنه يصدق عليه:

أنه ممد به!



٧) الطبيب والممرض الذي يرفع الجرحى:

الطبيب والممرض الذي يرفع الجرحى ويقوم على دوائهم والعناية بهم، وقد كانت النساء تخرج للجهاد مع الرسول ﷺ يداوين الجرحى، وينقلن الماء، وقد بقي عثمان رضي الله عنه في المدينة من أجل تمرير زوجته، واعتبره الرسول كأنه شارك في غزوة بدر، وجعل له سهما من غنائم بدر. وقال له رضي الله عنه: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه»^(١).

٨) من يقوم بإسعاف الجرحى:

من يقوم على إسعاف الجرحى وينقلهم إلى أماكن العلاج والمستشفيات فهو أولى بالأجر ممن يداويهم في مكان المعركة لأن المستشفيات تتوفر فيها من وسائل العلاج ما لا يوجد في أرض المعركة.

٩) من يمول المجاهدين بالغذاء والدواء وغير ذلك:

من يقوم على تموين المجاهدين بالغذاء والماء والسلاح، فهؤلاء يقدمون الوقود والغذاء للأبطال المجاهدين! إنهم لا يقلون أجراً عما يصنع السهم ولا عما يمد به!

(١) صحيح البخاري (ص: ٤٢٣) رقم الحديث (٣١٣٠).



١٠) من يقوم على رعاية المهجرين والأرامل والأيتام:

الذين يقومون على رعاية المساكين واليتامى المهجرين في بيوتهم أو في المخيمات فلهم أجر المجاهد، قال رسول الله ﷺ «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»^(١). وربما كانت حاجة أهل المخيمات أشد من حاجة الأرامل والمسكين العاديين.!

١١) الصحفيون والإعلاميون:

الصحفيون والإعلاميون الذين يشاركون في نقل أخبار المجاهدين ابتغاء مرضاة الله لتقوية معنوياتهم وبيان الحقيقة للناس، فقد طلب الرسول ﷺ يوم الخندق شخصا يأتيه بخبر المشركين وماذا جرى عليهم؟ فأحجم القوم لخطورة الموقف فندب حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فلم يستطع رفض طلب الرسول ﷺ عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟! لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم

(١) متفق عليه صحيح البخاري (ص: ٧٦٤) رقم: (٥٣٥٣)، وصحيح مسلم

(ص: ٧٥٣) رقم: (٢٩٨٣).



جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟»، فسكتنا فلم يجبه ما أحد، فقال: «قم يا حذيفة، فأنا بخبر القوم»، فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «اذهب فأتي بخبر القوم، ولا تدعهم علي»، فلما وليت من عنده جعلت كائنا أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «ولا تدعهم علي»، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت قررت، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: «قم يا نومان»، فهاهنا طلب رسول الله ﷺ من بعض المسلمين أن يؤدوا دوراً يشبه دور (الإعلاميين) كذلك طلبه من المسلمين أن يردوا على أبي سفيان انتفاشه بالنصر يوم أحد، عندما أخذ يرتجز: (قائلاً): اعل هبل، اعل هبل. فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبونه؟» قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل».

فقال (أبو سفيان): إن العزى لنا، ولا عزى لكم، فقال رسول الله



ﷺ: «ألا تحببونه؟» قالوا: يا رسول الله، وما تقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»^(١)... فأبلس أبو سفيان، وسكت ولم يعد ينادي لقوة ردود الصحابة رضي الله عنهم!!

١٢) المخذلون الأعداء:

فهؤلاء جنود مخفيون، وقد يكون لفعالهم أثراً أعظم من أثر جنود أو جيوش! وقد استعمل رسول الله ﷺ هذا اللون من الجهاد فقال لنعيم بن مسعود رضي الله عنه يوم الخندق: «خذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة..»^(٢) ولقد كان فعل نعيم بن مسعود في غزوة الخندق من أهم أسباب تراجع اليهود عن الاستمرار في التحالف مع قريش وتمزيق صف الأحزاب كما هو معلوم!.

١٣) المحامون والحقوقيون:

المحامون عن حقوق المجاهدين والمدافعون عنهم، فلا يقلل أجرهم عن المجاهدين لأنهم على ثغرة الدفاع عن المجاهدين وتوجيههم بما يلزم في هذا الجانب.

١٤) المخططون للمعارك والمبصرون للمقاتلين:

(١) مسند أحمد، طبعة الرسالة (٥٥٦/٣٠) رقم: (١٨٥٩٣).

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (١/١٤٧).



المخططون للمعارك والمبصرون للمجاهدين بالخطوات اللازمة اتخاذها حيال الأوضاع، إذا فعلوا ذلك ابتغاء مرضاة الله! كالخبراء العسكريين الذين يوجهون المجاهدين إلى الخطوات اللازمة اتخاذها بناء على معطيات المعركة، بل ربما فاق عمل هؤلاء المحللين عمل كثير من الجنود في أرض المعركة!، وقد كان عمر يوجه قادة الجيوش كيف يتصرفون فقد كان يعيش هم المعركة في جميع أوقاته! حتى إنه تكلم بما يشبه إدارة المعركة وهو على المنبر في حادثة؟ يا سارية الجبل!..!

١٥) الشعراء والادباء والكتاب:

الشعراء والأدباء والكتاب الذين يحمسون الناس على الجهاد، ويحثونهم على الثبات، ويفندون مزاعم الأعداء وشبهاتهم، فهم يقومون بجهاد لا يتقنه غيرهم. وقد كان الرسول ﷺ يقول لحسان بن ثابت رضي الله عنه «اهج المشركين، فإن جبريل معك»^(١)! وكان عمر يرسل من يستجيش الناس ويحثهم على الخروج للجهاد كما حصل أثناء معارك العراق.

١٦) الآباء والامهات الصابرون المحتسبون:

(١) صحيح البخاري (ص: ٥٦٢) رقم: (٤١٢٤).



الآباء والأمهات الصابرون المحتسبون أبناءهم في سبيل الله المعتزرون بجهاد آبائهم واستشهادهم في سبيل الله إن فعل هؤلاء خير داعم لثبات المجاهدين وعدم التفاتهم إلى الوراة خشية على الآباء! فقد قالت الخنساء لما بلغها استشهاد آبائها الأربعة: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم في سبيل الله وغيرها الكثير، ممن رفض قبول التعازي باستشهاد ولده، وقال: نحن نقبل التهاني، ولا نقبل التعازي لقد أصبح لدينا مندوب في الجنة يشفع لنا!!!

١٧) الشعب الذي يحتضن المجاهدين ويدعمهم:

الشعب الذي يحتضن المجاهدين ويؤويهم ويعمي أخبارهم، ويخفي تحركاتهم فهو الدرع الواقى هؤلاء المجاهدين؟ في التغطية على أخبارهم وتأمين المأوى والطعام لهم، وإخبارهم بتحركات العدو، لقد كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها واحداً من هؤلاء حين شقت نطاقها لربط زاد الرسول ﷺ وصاحبه^(١)، حتى تنجح رحلة الهجرة، وأخفت أخبارهم ولما سأها أبو جهل: أين أبوك؟ قالت: لا أدري، فلطمها حتى أطار قرطها!^(٢) وكان لها موقف آخر لا يقل

(١) صحيح البخاري (ص: ٧٦٩) رقم: (٥٣٨٨).

(٢) السيرة النبوية، لابن كثير (٢/٢٣٦).



عما سبق في ثبات آل أبي بكر، حتى لا يشتفي بهم أحد بفقد أبيهم وذهابه بهاله! قال أسماء: احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بهاله مع نفسه. قالت: قلت: كلا، يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت يده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس، إذا كان قد ترك لكم هذا، فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، فلا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك^(١). وشارك راعي غنم أبي بكر في التغطية على آثار من يأتي بالطعام والأخبار، فكان عبدالله بن أبي بكر يكون في قریش نهاره معهم، يستمع ما يأمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيها إذا أمسى فيخبرهما الخبر، وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبدالله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة

(١) السيرة النبوية، لابن كثير (٢/٢٣٦).



أتبع عامر ابن فهيرة أثره بالغنم يعفي عليه^(١).

١٨) جميع الأعمال المساعدة والرديفة للمعركة:

وكان جهاد حسان بن ثابت رضي الله عنه، حراسة نساء المسلمين اللاتي في الحصن خشية أن يستدل عليهن المشركون أو اليهود فيها جموهن في غيبة الرجال المجاهدين، أن القصد له أهمية في حصول الأجر والثواب، وكل عمل يخدم المعركة بأي صورة من الصور يعتبر مشاركة فيها.

(٢) السيرة النبوية، لابن كثير (٢/٢٣٦).



عاشراً:

فضل الإنفاق في المعركة

إن للإنفاق في سبيل الله مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة، بل قدم الله الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في أكثر من موضع.

قال الله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١] وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال سبحانه: ﴿هَٰذَا نَتَمِّتُهُمْ هُنَا لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ



عن خريم بن فاتك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبع مائة ضعف»^(١).
وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ طَرَوْقُهُ فَحَلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

(١) صحيح رواه الترمذي والنسائي.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.



الفصل الأول: أهداف وفضل الرباط والقتال في سبيل الله



الفصل الثاني

أخلاق وأداب القتال في سبيل الله

القتال والرباط في سبيل الله من أفضل الطاعات والقربات إلى الله سبحانه وتعالى وهو طريق مضمون إلى الدرجات العليا في الجنة في الآخرة، والنصر والفلاح في الدنيا إذا تحققت له شروط وأخلاق وأداب، وبقدر الالتزام بهذه الاخلاق والآداب تتحقق أسباب النصر والغلبة في الواقع.

وهذه الآداب والأخلاق منها ما يطلب فعله ومنها يطلب تركه، ومنها ما هو فرض يجب أدائه، ومنها ما هو محرم يجب تركه، ومنها ما هو مندوب يسرّ الإتيان به. ثم منها ما يكون قبل المعركة، ومنها ما يكون في أثناءها، ومنها ما يكون بعدها^(١).

(١) الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، عبد الله بن أحمد القادري: دار المنارة - جدة، ١٩٩٢، مع التصرف والاضافات.



أولاً:

أخلاق وأداب القتال قبل خوض المعركة

(١) الإخلاص لله تعالى:

والإخلاص، معناه تصفية العمل من شوائب الشرك كبيره وصغيره، وهو مطلوب من المسلم في كل أعماله، كما قال تعالى:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] وقال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

والقتال في الإسلام لا يكون إلا في سبيل الله؛ ولذلك اقترنت كلمة القتال والجهاد في القرآن كثيراً بعبارة: «في سبيل الله» في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ حتى قال الإمام ابن حجر رحمته في فتح الباري: «والمتبادر من لفظ (سبيل الله): الجهاد» ومما ارتبط فيه القتال والجهاد بعبارة «في سبيل الله» في القرآن:

قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا ﴾

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٦٠﴾ [البقرة: ١٩٠] وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ



يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١٨﴾ [البقرة: ٢١٨] وقوله تعالى:
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَل لَنَا
مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ [النساء: ٧٥] وقال تعالى
في الحديث القدسي: «من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته
وشركه»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما
نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله
ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها،
فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٢).

وعن أبي موسى جهيلته قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:
الرجل يُقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى
مكانه، فمن في سبيل الله؟

فقال النبي ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا، فَهُوَ فِي

(١) مسلم (٢٢٨٩/٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري رقم: (٥٣)، فتح الباري (١٣٥/١)، ومسلم (١٥١٥/٣).



سبيل الله»^(١).

وقد خصّصت فريضة الجهاد بالتأكيد على الحرص على إخلاص المجاهد نيته لله تعالى، لأن تسرب الرياء إلى المجاهد أسرع منه إلى غيره، ولهذا عنيت النصوص بذلك غاية العناية.

إن المسلم إذا عمل عملاً ولم يخلص لله فيه فإنَّ بإمكانه أن يرجع ويستأنف ذلك العمل ويحقق فيه الإخلاص، إلا الذي قُتِلَ وهو يُقَارِعُ الأعداء فإنه إن لم يخلص النية فلن يستطيع الرجوع مرة أخرى ليستدرك ما فاتهُ من الإخلاص. والذي لا يُخلص في جهاده فيموت فمصيره النار والعياذ بالله.

إنَّ حَمَلَ السلاح فيه فتنةٌ على النفس من ناحية الإخلاص، لأنَّه يُثِيرُ كوامِنَ الفتوة والشجاعة في نفس حامله، وهو مدعاةٌ لأن يقع في المحذور، يقاتل شجاعةً، أي ليُقَالَ عنه شجاع.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول الناس يوم القيامة يقضى عليه رجل استشهد، فأُتِيَ به فعرفه نعمةً فعرفها، قال: فما

(١) البخاري (٢٥٩٩)، ومسلم (٣٥٢٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.



عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريءٌ، فقد قيلَ، ثم أمر به فُسْحِبَ على وجهه حتى أُلقيَ في النار»^(١).

ومن المجاهدين من يقاتلُ حميَّةً، أي انتصاراً لقومه وعشيرته، فيخرجُ للجهاد ونيته أن يرفعَ ذكراً لعائلته، أو يخرجُ انتقاماً لعُصْبَتِهِ وجماعته، فيقتل فيكون في جهنم.

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: سئِلَ رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعاً، ويقاتل حميَّةً، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(٢).

وَمَدَحِ النَّاسِ لِلْمَجَاهِدِ بِأَفْعَالِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ وَحِكْمَتِهِ لَا ضَيْرَ فِيهِ، بل هو من عاجل بشري المؤمن كما أخبر النبي ﷺ من حديث أبي ذرٍّ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى

(١) رواه مسلم (٤٩٢٣).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.



المؤمنين»^(١)، ولكن أن يكون همُّ المجاهد هو المدحُ والذكرُ والظهورُ فهذا هو المحظورُ. وفي رواية أخرى من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(٢).

٢) الثقة بنصر الله:

بلا شك ان المجاهد الحق في سبيل الله يعتقد ان العاقبة للمتقين وأنَّ بعد الليلِ فجرًا، وأنَّ مع العسر يسرا، فأينَ قريشُ وأينَ التتارُ والمغولُ؟ أينَ الصليبيونَ الحاقِدونَ؟! اسألوا التاريخَ عن جحافلِ الكُفْرِ والنفاقِ والاجرامِ التي جاءتْ لتبيدَ الإسلامَ والمسلمينَ فأبادهمُ اللهُ وأبقى الإسلامَ شامخًا، وفي ذلك يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

(١) صحيح مسلم.

(٢) البخاري ومسلم.



فنحن بحاجة إلى الثقة بالله وبنصره الذي وعد به المؤمنون عند تأخر النصر، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، قال تعالى:

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨] فالوائق بنصر الله يعلم أن نتائج المعارك لا يحسمها العدد والعدة فقط، وإنما ثمة أمور أُخر لا تقل شأنًا عنها، إن لم تكن تفوقها أهمية واعتبارًا، وإذا كانت غزوة بدر التي وقعت في العام الثاني من الهجرة، علمت المسلمين أن القلة لا تضرهم بجانب كثرة أعدائهم، فإن غزوة حُنين في العام الثامن من الهجرة أكدت لهم أن كثرتهم لا تنفعهم شيئًا إذا لم يكونوا مؤمنين صادقين، موقنين بأن النصر من عند الله، لا يعرف الغرور طريقًا إلى قلوبهم.

وقد سُجلت الغزوات في القرآن الكريم لكي تبقى عبرة للمسلمين في كل زمان ومكان يتعلمون منها الدروس والعبر، والتي من أهمها: أن الركون إلى الكثرة العددية يمنع النصر،

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

لقد كان المسلمون في بدر أقل عددا منهم في أي موقعة أخرى، ومع ذلك لم تضرهم القلة شيئا بسبب صدق إسلامهم، وقوة إيمانهم، وكانوا في حنين أكثر عددا منهم في أي موقعة أخرى خاضوها من قبل، ومع ذلك فلم تنفعهم الكثرة شيئا، بسبب تلك الكثرة التي لم يتمكن الإيمان بعد في نفوسها، ودخل الغرور والعجب في قلوبها، وإذا كانت وقعة بدر قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئا مقابل كثرة أعدائهم، إذا كانوا صابرين ومتقين، فإن غزوة حنين قد أكدت لهم أن الكثرة أيضاً لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين متقين موقنين بأن النصر من عند الله.

والمسلم يثق بوعد الله الخالق لكل شيء والقادر على كل شيء والذي تكفل بنصره للمقاتلين في سبيله إذا هم قاموا بما يستحقون به هذا النصر، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [٣٩] الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا



رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ
وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَكَ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

لقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم كي يتم نصجهم في أثناء المعركة. فالبنية الإنسانية لا تستيقظ كل الطاقات المذخورة فيها كما تستيقظ وهي تواجه الخطر، وهي تدفع وتدافع، وهي تستجمع كل قوتها لتواجه القوة المهاجمة.. عندئذ تتحفز بكل ما أودع فيها من استعداد لتؤدي دورها، ولتؤتي أقصى ما تملكه وتبذل آخر ما تنطوي عليه، وتصل إلى أكمل ما هو مقدور لها وما هي مهياً له من الكمال.

وقد يبطئ النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر. إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله.

وقد يبطئ النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل، ولا تجدها سنداً إلا الله، ولا متوجهاً إلا إليه وحده



في الضراء. وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن به الله. فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله.

وقد يبطئ النصر لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً. فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين فيه، لم يقنعوا بعد بفساده وضرورة زواله، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة. فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عارياً للناس، ويذهب غير مأسوف عليه!

فأما من يفقد ثقته في نصر الله في الدنيا والآخرة؛ ويقنط من عون الله له في المحنة حين تشتد المحنة، فدونه فليفعل بنفسه ما يشاء؛ وليذهب بنفسه كل مذهب، فما شيء من ذلك بمبدل ما به من البلاء: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الحج: ١٥].

فمن كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بحبل إلى السماء يتعلق به أو يحتنق. ثم ليقطع الحبل فيسقط



أو ليقطع النفس فيختنق.. ثم لينظر هل ينقذه تدبيره ذلك مما يغيظه!
 ألا إنه لا سبيل إلى احتمال البلاء إلا بالرجاء في نصر الله. ولا
 سبيل إلى الفرج إلا بالتوجه إلى الله. ولا سبيل إلى الاستعلاء
 على الضرر، والكفاح للخلاص إلا بالاستعانة بالله. وكل حركة
 يائسة لا ثمرة لها ولا نتيجة إلا بزيادة الكرب، ومضاعفة الشعور
 به، والعجز عن دفعه بغير عون الله..

فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته والشروط بتكاليفه
 وأعبائه.. والأمر بعد ذلك لله، يصرفه كيف يشاء: فيبدل الهزيمة
 نصراً، والنصر هزيمة، عندما تختل القوائم، أو تهمل التكاليف:
 «وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»..

متى ينزل نصر الله؟

كتب الله على نفسه النصر لأوليائه، ولكنه ربط هذا النصر بأمور:

١- كمال حقيقة الإيمان في قلوب المجاهدين في سبيل الله: قال

الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

٢- استيفاء مقتضيات الإيمان، وهي الأعمال الصالحة في

حياتهم: قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤٠] الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا

الرِّكَوَّةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

٣- بذل الجهد الذي في وسعهم: واستكمال العدة التي في طاقتهم: قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٤٥] وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا فَنفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦]، وبذلك تكون معهم معية الله، وينزل عليهم نصر الله كما نزل على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكما حصل للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في غزواتهم.

٣) البعد عن العجب والبطر والرياء:

قد يحسن المؤمنون الاستعداد للحرب، فيشعرون بأنهم أهل لأن ينصروا بقوتهم فيحملهم هذا على الاستعلاء والفخر،



فيخرجون متبطين طاغيين يتعجبون بقوتهم، ويستخدمون نعمة القوة التي أعطاها الله في غير ما أرادها الله حرصاً على ثناء الناس وإعجابهم فيفوتهم في هذه الحال النصر.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ

النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

والمشبه به قريش في خروجهم يوم بدر ومعهم القيان والمعازف ليشربوا الخمر وتغني لهم القيان وتسمع العرب بمخرجهم. والبطر: الطغيان في النعمة بترك شكرها والتوسل بها إلى الشر، والرياء: مصدر راءى إذا أراد بفعله الثناء من الناس وأظهر خلاف ما يبطن، ويصدون: أي يمنعون الناس عن الإسلام والخير.

ولقد كانت صورة الخروج بطراً ورياءً الناس وصداء عن سبيل الله حاضرة أمام العصابة المسلمة؛ يرونها في خروج قريش بالصورة التي خرجت بها؛ كما كانت صورة العاقبة لهذا الخروج حاضرة فيما أصاب قريشاً التي خرجت في ذلك اليوم بفخرها وعزها وكبريائها تحاد الله ورسوله: وعادت في آخر اليوم بالذل والخيبة والانكسار والهزيمة.. وكان الله سبحانه يذكر العصابة المسلمة بشيء حاضر له وقعه وله إيحاؤه».

٤) عدم الخشية من حشود الأعداء وعتادهم:

المؤمنون مهما رأوا من تحشيد الأعداء ضدهم لا يزيدهم ذلك إلا إيماناً وثباتاً، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فرجعوا منتصرين غالبيين غانمين، ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

والقلة والكثرة ليست من عوامل النصر وشواهد ذلك في التاريخ والسنة كثيرة، وانظر هنا إلى قصة طالوت وجنوده وما هو ميزان الغلبة الذي يقرره القرآن، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

لقد صاروا قلة. وهم يعلمون قوة عدوهم وكثرته: بقيادة



جالوت. إنهم مؤمنون لم ينكصوا عن عهدهم مع نبيهم. ولكنهم هنا أمام الواقع الذي يرونه بأعينهم فيحسون أنهم أضعف من مواجهته. إنها التجربة الحاسمة. تجربة الاعتزاز بقوة أخرى أكبر من قوة الواقع المنظور. وهذه لا يصمد لها إلا من اكتمل إيمانهم، فاتصلت بالله قلوبهم؛ وأصبحت لهم موازين جديدة يستمدونها من واقع إيمانهم، غير الموازين التي يستمدها الناس من واقع حالهم ! وهنا برزت الفئة المؤمنة. الفئة القليلة المختارة. والفئة ذات الموازين الربانية: (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة).. بهذا التكثير. فهذه هي القاعدة في حس الذين يوقنون أنهم ملاقو الله. القاعدة: أن تكون الفئة المؤمنة قليلة لأنها هي التي ترتقي الدرج الشاق حتى تنتهي إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار. ولكنها تكون الغالبة لأنها تتصل بمصدر القوى؛ ولأنها تمثل القوة الغالبة. قوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، محطم الجبارين، ومخزي الظالمين وقاهر المتكبرين.

وهم يكلون هذا النصر لله: (بإذن الله).. ويعلونه بعلته الحقيقية: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فيدلون بهذا كله على أنهم المختارون من الله لمعركة الحق الفاصلة بين الحق والباطل..

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا



أَيُّومَ بَجَالُوتَ وَجُودِهِ ۖ، وأمام هذا التخاذل ثبتت الفئة القليلة المختارة. اعتصمت بالله ووثقت، وقالت: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وهذه هي التي رجحت الكفة، وتلقت النصر، واستحقت العز والتمكين.

وفي ثنايا هذه التجربة تكمن عبرة القيادة الصالحة الحازمة المؤمنة.. وكلها واضحة في قيادة طالوت. تبرز منها خبرته بالنفوس؛ وعدم اغتراره بالحماسة الظاهرة، وعدم اكتفائه بالتجربة الأولى، ومحاولته اختبار الطاعة والعزيمة في نفوس جنوده قبل المعركة، وفصله للذين ضعفوا وتركهم وراءه.. ثم - وهذا هو الأهم - عدم تحاذله وقد تضاعل جنوده تجربة بعد تجربة؛ ولم يثبت معه في النهاية إلا تلك الفئة المختارة. فخاض بها المعركة ثقة منه بقوة الإيمان الخالص، ووعد الله الصادق للمؤمنين.

والعبرة الأخيرة التي تكمن في مصير المعركة.. أن القلب الذي يتصل بالله تتغير موازينه وتصوراتهِ؛ لأنه يرى الواقع الصغير المحدود بعين تمتد وراءه إلى الواقع الكبير الممتد الواصل، وإلى أصل الأمور كلها وراء الواقع الصغير المحدود. فهذه الفئة المؤمنة



الصغيرة التي ثبتت وخاضت المعركة وتلقت النصر، كانت ترى من قلتها وكثرة عدوها ما يراه الآخرون الذين قالوا: «لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده».. ولكنها لم تحكم حكمهم على الموقف. إنما حكمت حكماً آخر، فقالت: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.. ثم اتجهت لربها تدعوه: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. وهي تحس أن ميزان القوى ليس في أيدي الكافرين، إنما هو في يد الله وحده، فطلبت منه النصر، ونالته من اليد التي تملكه وتعطيه.. فكانت هذه النتيجة: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١].

وهكذا تتغير التصورات والموازين للأمر عند الاتصال بالله



حقاً، وعندما يتحقق في القلب الإيمان الصحيح. وهكذا يثبت أن التعامل مع وعد الله الواقع للقلوب أصدق من التعامل مع الواقع الصغير الظاهر للعيون!

٥) مبايعة الجيش على الثبات وعدم الفرار:

ومن آداب الجهاد أن يبائع قائد الجيش جنده على الثبات قبل الشروع في القتال، تذكيراً لهم بحق الله تعالى عليهم من بذل النفس في سبيله، وحضاً لهم على عدوه بعزم وتصميم وعدم تردد أو تهيّب.

فقد كان رسول الله ﷺ يبائع أصحابه على أمور كثيرة من أمور الإسلام، ومن ذلك البيعة على عدم الفرار من العدو: كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: «كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فبايعناه وعمر أخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة»، وقال: «بايعناه على ألا نفر، ولم نبايعه على الموت»^(١).

قال النووي رحمته الله: (وفي رواية سلمة أنهم بايعوه يومئذ على

(١) حديث جابر في صحيح مسلم (١٤٨٣/٣) وما بعدها.



الموت^(١). قال العلماء: فالبيعة على الموت على ألا نفر معناه الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل، وهو معنى البيعة على الموت، أي الصبر وإن آل بنا ذلك إلى الموت، لا أن الموت مقصود في نفسه، وكذلك البيعة على الجهاد، أي والصبر فيه^(٢)..

٦ إعداد العدة:

من أهم دعائم الجهاد، وركائز النصر الاستعداد للجهاد، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] ومن حق هذه الآية أن نتدبرها ونقف عند كل كلمة من كلماتها. فكلمة (أعدوا) كلمة واسعة الدلالة تشمل كل ما يمكن الاستعانة به في مقاومة الأعداء من قوى مادية ومعنوية... وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ففيه حدود التكليف بإعداد القوة، وهي في حدود الطاقة إلى أقصاها بحيث لا يقصر المسلمون عن سبب من أسباب القوة الذي يدخل في طاقتهم... أما كلمة قوة: فقد وردت نكرة لتشمل جميع أنواع القوة المعروفة

(١) البخاري رقم الحديث (٢٩٦٠)، فتح الباري (٦/١١٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/٢-٦).



اللازمة للانتصار في كل زمان ومكان، وتمشياً مع توجيه الوحي وسياسة الواقع، درب النبي ﷺ أصحابه على فنون الحرب واشترك معهم في الاستعداد للمعارك، فقد كان ﷺ يحث المسلمين على أن يتدربوا على الفروسية والسباحة والرمي بالنبال.

جاء في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي».



ثانياً:

أخلاق وآداب القتال أثناء المعركة

(١) الثبات وعدم الفرار:

أمر الله سبحانه عباده بالثبات حين اللقاء فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] قال ابن كثير رحمته: هَذَا تَعْلِيمُ اللَّهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ آدَابَ اللَّقَاءِ، وَطَرِيقَ الشَّجَاعَةِ عِنْدَ مُوَاجَهَةِ الْأَعْدَاءِ (١) ..

وقال القرطبي رحمته: (فَأَثْبِتُوا) أَمْرٌ بِالثَّبَاتِ عِنْدَ قِتَالِ الْكُفَّارِ، كَمَا فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا النَّهْيُ عَنِ الْفِرَارِ عَنْهُمْ، فَالْتَقَى الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ عَلَى سَوَاءٍ. وَهَذَا تَأْكِيدٌ عَلَى الْوُقُوفِ لِلْعَدُوِّ وَالتَّجَلُّدِ لَهُ (٢) ..

وقد وضح القرآن ان الغلبة على عدد الأعداء الكثيرة يكون بالصبر والثبات فقال تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُوا وَيَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] أَلْكَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ

(١) تفسير ابن كثير (٧٠/٤).

(٢) القرطبي (٢٣/٨).

مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٦﴾ [الأنفال: ٦٦] وفي غزوة حنين ثبت الرسول ﷺ وحوله عشرة، ثم اجتمع إليه المسلمون فكان هذا الثبات هو سبب انقلاب الهزيمة إلى نصر، وإلا صارت هزيمة في البداية: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ وَلَيْتُمُ مُدْرِبِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦] فجاء النصر من الله.

إن النصر مدخر لمن يستحقونه، ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية، الذين يثبتون على البأساء والضراء الذين يصمدون للزلزلة الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة، الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله، وعندما يشاء الله وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها، فهم يتطلعون فحسب إلى (نصر الله)، لا إلى أي حل آخر، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله، ولا نصر إلا من عند الله. وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ»^(١).

وأوصى بالثبات إن حصل اللقاء، فقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا



تَتَمَوَّا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا،
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ:
«اللَّهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمَجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ،
اهْزِمْنَاهُمْ، وَأَنْصِرْنَا عَلَيْهِمْ»^(١).

والجندي المسلم من صفاته: أنه متعود على الشدائد، متعود على حياة الخشونة، فهو في نومه متعود على قلة النوم أو على عدم النوم إذا احتاج الأمر، صبور على قلة الطعام، أو تدني مستوى الأكل، وربما أكل أشياء لا يفكر أن يأكلها وهو في الحضر مع أهله في مدينته وفي بيته.

والجندي المسلم متعود على المفاجآت، ولذلك في الجيوش يكون سلاح المباغثة من أكبر الأسلحة، وإذا صارت الضربة الأولى وتفرق الناس وطاروا فإن الجندي المسلم ثابت؛ لأنه متعود على المفاجآت، لا ترهبه المفاجآت، وهو يعلم ما خطط له أعداء الله، فهو صابر محتسب، مراقب، وهو مرابط لا يؤتى الإسلام من قبله.

(١) البخاري (٢٩٦٥)، ومسلم: باب كراهة تمني لقاء العدو: (١٧٤٢).

٢) حرمة الفرار:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ ۗ﴾ (١٥) وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالِهِ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ [الأنفال: ١٥-١٦] هذا هو أول نداء في السورة الكريمة (يا أيها الذين آمنوا)؛ وما من شك أن الخطاب هنا ليس خاصًا بغزوة بدر؛ لأن السورة الكريمة نزلت في أعقاب الغزوة وبعد الحصول على الأنفال، لذا فهو خطاب عام، ووصية من الله تعالى للمؤمنين إلى يوم القيامة، وعلى هذا فإن التولي يوم الزحف حرام على المسلمين في دين الله عز وجل، وهو كبيرة من الكبائر كما جاء في الحديث؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟»، قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»^(١).

(١) صحيح مسلم، شرح النووي، المجلد الأول، (ص: ٢٧٧)، باب الكبائر وأكبرها، طبعة دار الشعب.



(اجتنبوا السبع الموبقات) أي: المهلكات التي إذا اجتمعت على صاحبها أهلكته أو واحدة منها. والشاهد منه: (والتولي يوم الزحف) أي: يوم لقاء العدو.

وعن سهل بن أبي حثمة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «الكبائر سبع: الشرك بالله، وقتل النفس، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والتعرض بعد الهجرة»^(١).

قوله: (التعرض بعد الهجرة) أي: بعد أن يهاجر من دار الكفر إلى دار الإيمان يرجع مرة أخرى إلى دار الكفر فيسكن البادية أو غير ذلك، والتعرض أي: أن يصير مع العرب في البادية بعد أن هاجر.

وَعَنْ أَبِي الْيَسْرِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِيِّ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرْقِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدَيْغًا»^(٢).

في سبيلك مدبراً: فاراً من الزحف.

(١) صحيح مسلم.

(٢) رواه النسائي وأحمد، صححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير.

تخبط الشيطان؛ تخبط الشيطان عند الموت هو أن يستولي عليه الشيطان عند مفارقتة الدنيا فيضله ويحول بينه وبين التوبة فيختم له بسوء ويلقى الله وهو ساخط عليه الترددي: أي السقوط من مكان عال كالجبل

وعن أبي أيوب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَاءَ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، وَيَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ، فَإِنَّ لَهُ الْجَنَّةَ»، وَسَأَلُوهُ: مَا الْكِبَائِرُ؟ قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُسْلِمَةِ، وَفِرَارُ يَوْمِ الزَّحْفِ»^(١).

إن الإسلام دين العزة والكرامة، ولا يرضى الذلة والمهانة؛ وتولية الدبر دليل الخور والتفكك والضعف، وهذا ما لا يرضي به الإسلام، لأنه حينما يقاتل المسلم فإنه ينتظر إحدى الحسنين، إما النصر وإما الشهادة؛ فلا مجال عنده لتولية الدبر.. إذ كيف يولي دبره أو دبر جيشه - أي مؤخرته - ليحصدهم الكفار حصداً، ويأسروهم ليفتنوهم أو يدفنوهم أحياء؛ لهذا وغيره كان النهي عن التولي يوم الزحف، وكان - إلى يوم الدين - كبيرة من الكبائر،

(١) رواه أحمد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.



يعاقب الله تعالى بهذه العقوبة: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِعَصَابٍ مِّنْ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾؛ ودائماً فإن الجزء من جنس العمل.. لقد ولى دبره مسرعاً هرباً من الموت وبحثاً عن مأوى آمن يلجأ إليه فراراً من الموت؛ فكان جزاؤه: مأوى في جهنم وبئس المأوى والمصير الذي سعى إليه.

من عواقب الفرار من الزحف:

١. تمكن العدو من رقاب المؤمنين: وهي أكبر مفسدة على وجه الأرض قد يسببها الفارون من الزحف.
٢. إضعاف المعنويات ونشر الهزيمة النفسية داخل الصف وتجريء أهل الباطل على أهل الحق بسبب فرار بعض المقاتلين من المعركة.
٣. خذلان الحق بإظهار جيش الباطل بمظهر القوة والمنعة بالفرار من الزحف.
٤. تسليم إمكانات ومعدات جيش الحق لأهل الباطل كغنائم عند الفرار.
٥. تفويت النصر وعدم التمكين للحق، وإنما تؤخذ الدنيا غالباً.



٦. نزول الغضب والوعيد الشديد بالعذاب الأكبر لمن فر من الزحف كما سبق توضيحه.

جواز التحرف والتحيز:

ويجوز التولي إذا كان خدعة أو مناورة، أو لاتخاذ موقع جديد أو غير ذلك من أجل مصلحة قتالية أو غاية حربية تقتضيها ظروف المعركة؛ قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦]، جاء في أحكام القرآن للقرطبي: (فالمتحرف من جانب إلى جانب لمكايد الحرب غير منهزم، وكذلك المتحيز إذا نوى التحيز إلى فئة من المسلمين ليستعين بهم فيرجع إلى القتال غير منهزم أيضاً^(١)). (والعلم بالنيات مرجعه إلى الخالق الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) وبهذا يتضح أنه يدخل في ذلك:

١- أن يكون متحرفاً لقتال، بمعنى أن يذهب لأجل أن يأتي بقوة أكثر.

(١) تفسير القرطبي، (٤/٢٨١٩).



٢- أو متحيزاً إلى فئة، أي منضماً إلى جماعة المسلمين، قريبة كانت هذه الجماعة أم بعيدة.

ومن الوسائل التي تعين على الثبات:

- الدعاء والصدق في طلب العون من الله تعالى: سيأتي الحديث عنه مفصلاً ضمن آداب وأخلاق القتال في سبيل الله.

- ذكر الله تعالى كثيراً: وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في الأدب الآتي ضمن آداب وأخلاق القتال في سبيل الله، وسيأتي التفصيل في ذلك أيضاً.

- الارتباط بالصّحبة الصّالحة: لا تترك صحبة الأخيار، فهم الذين يذكرونك بالعزير الغفار، ويأخذون بيدك للنّجاة من النّار. عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»^(١)، إذا كان الله تعالى قد قال عن موسى، الذي هو من الرّسل الكرام ومن أولي العزم: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] فنحن قطعاً أخرج إلى من نشدّ عضدنا به، وإذا كانت صحبة الصّالحين

(١) رواه أبو داود والترمذي بإسنادٍ لا بأس به.

والرَّبَّانِيَّينَ مِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ؛ فَصَحْبَةُ الطَّالِحِينَ مِنْ أَسْبَابِ
الانْتِكَاسِ ﴿ وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ
الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَلْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخْذُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ
الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٢٩﴾ ﴿
[الفرقان: ٢٧-٢٩].

- خبيثة عمل صالح: عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْمُهْرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(١)، ابحث عن خبيثة عمل صالح بينك وبين الله تعالى، مراعيًا فيها الإخلاص والاتباع، وهذه الخبيثة تدخرها خاصةً للثبات كما فعل الثلاثة الذين انسدت عليهم الصخرة في الغار.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَا الْمَيْتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَأَنْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ إِلَّا الصَّخْرَةُ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ،

(١) رواه مسلم.



وَكُنْتُ لَا أَعْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرْحَ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَعْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرَبَا غُبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَاَنْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ)، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَاْمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تَحْلِيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفْضُرَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَازْصُرْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الدَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ، فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا)، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (وَقَالَ الثَّلَاثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجْرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أُجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَتَمَرَّتْ أُجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ

أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَأْفَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَأَفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ».

(٣) ذكر الله كثيرا:

الله سبحانه وتعالى قرّن الثبات في الحرب بكثرة ذكره قَالَ تَعَالَى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فَنُكَّةً فَاتَّبُوا ؕ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥] ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ معطوفة على ﴿فَاتَّبُوا﴾، وهي في الواقع جواب الشرط ﴿إِذَا لَقِيْتُمْ﴾، وعلى هذا التقدير: المقصود بالذكر في هذه الآية الذكر الكثير لله عند قتال العدو، والسبب الذي دعا إلى تقييد الذكر «بالكثير»، هو تجدد روح التقوى عند المجاهدين كلما لاح لهم ما يصرف نفوسهم إلى حبّ الحياة الفانية، والتمتع بزخارفها، والخواطر النفسانية التي يلقيها الشيطان بتسويله. فالداومة على ذكر الله تجدد روح التقوى كل لحظة في قلوبهم، وتعمل على التقليل من شأن الأهوال



والمخاطر التي يتعرض لها المقاتل في ميدان المعركة، لأن ظرف القتال والميدان ليس فيه إلا إزهاق النفوس، وسفك الدماء، ونقص الأطراف، وكل ذلك يهدد الإنسان بالفناء عما يحبه، فذكر الله يعينه على جهاده، والتثبت بفكرته بالظفر على عدوه الذي يهدده بالفناء، ويشعره بأن الله سنداً قوياً لا تستطيع أي قدرة في الوجود أن تتغلب عليه في ساحة المعركة، وأنه إذا قتل فإنه سينال السعادة الكبرى و يبلغ الشهادة العظمى، وجوار رحمة الله، فذكر الله يبعث على الاطمئنان، والقوة، والقدرة على الثبات في نفس المقاتل، ويزيل من نفسه حب الزوجة والمال، والأولاد.

٤) اللجوء إلى الله تعالى والاستغاثة به:

وهذا ما أرشد الله إليه المسلمين في غزوة أحد وقد أصابهم ما أصابهم، فضرب لهم مثل الأنبياء السابقين ومن قاتل معهم، وكيف صبروا على ما أصابهم في سبيل الله وماذا كان قولهم؟ فقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابٌ دُنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ ۗ

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨] فكأن الله يقول لهم: [فهلا فعلتم وقلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد؟ فأجاب دعاءهم وأعطاهم النصر والظفر والغنمة في الدنيا، والمغفرة في الآخرة إذا صاروا إليها. وهكذا يفعل الله مع عباده المخلصين التائبين الصادقين الناصرين لدينه، الثابتين عند لقاء عدوه بوعده الحق، وقوله الصدق: (والله يحب الصابرين) يعني الصابرين على الجهاد^(١)].

فمن صفات الجندي المسلم في المعركة: أن يبتهل إلى الله بالنصر، أن يبتهل إلى الله بأن ينزل المدد من عنده: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ولا أحد أبداً في الدنيا ينصركم إذا خذلكم الله. والله ينصر جنده بالملائكة، وينصر جنده بالتبثيت، وينصر جنده بإنزال السكينة في قلوبهم، وينصر جنده بإنزال الرعب في قلوب عدوهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦]، وقال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا إِلَهُهُم مِّنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢] وهكذا كان النبي ﷺ يكثر من دعاء الله

(١) تفسير القرطبي (٤/٢٣١).



والاستغاثة به، وبه اقتدى أصحابه كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدّتهم، ونظر إلى أصحابه نيّفاً على ثلاثمائة، فاستقبل القبلة، فجعل يدعو ويقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، وأخذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فوضع رداؤه عليه، ثم التزمه من ورائه ثم قال: كفاك يا نبي الله بأبي وأمي مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك»، فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] (١) ..

٥) الحفاظ على تقوى الله تعالى والازدياد منها:

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وأثنى على أهلها وجعلهم أحقّ بها

وأهلها، فقال: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٨٩/٩) وهو في صحيح مسلم (١٣٨٣/٣) مع الاختلاف في بعض ألفاظه.

وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴿٢٦﴾ [الفتح: ٢٦]. وقال

تعالى ﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿البقرة: ١-٢﴾
وأمر النبي ﷺ أمراً عاماً، فقال: «أتق الله حيثما كنت»^(١).

وأوصى بها المجاهدين عند تشييعهم في حديث بريده رحمته الله
قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه
في خاصة نفسه بتقوى الله...»^(٢).

والحد الأدنى من تقوى الله أن يأتي الإنسان بالفرائض التي
فرضها الله، وأن يجتنب المعاصي التي حرّمها الله تعالى، وذلك
موجب للجنة، كما ثبت في صحيح مسلم في حديث جابر بن
عبدالله الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ، فقال:
«أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت
الحلال، وحرّمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة؟
قال: نعم»^(٣).

(١) الترمذي وقال: حديث حسن (٣٣٥/٤) وهو في جامع العلوم والحكم لابن رجب
(ص: ١٣٦).

(٢) مسلم (١٣٥٦/٣) وهو في جامع الأصول (٥٨٩/٢).

(٣) مسلم (٤٤/١) من حديث جابر وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب
(ص: ١٧٩).



وفي المبسوط للسرخسي: (وإنما يوصيه يتقوى الله تعالى، لأنه بالتقوى ينال النصر والممدد من السماء، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، وبالتقوى يجتمع للمرء مصالح المعاش والمعاد)^(١).

ومن صفات الجندي المسلم: أنه يواظب على العبادات، يكرّ في أداء الصلوات، ويقرأ القرآن، ويقوم الليل، ويذكر ربه على كل حال، ولا يزال لسانه رطباً من ذكر الله، وهو مع ذلك لا ينسى أذكار الصباح والمساء، ويتدبر في قصص الأنبياء والصحابة والشهداء، فهذه التربية الإيمانية للجندي المسلم في غاية الأهمية أن يحافظ عليها.

٦ تجنب المعاصي والمخالفات:

أصيب المسلمون بسبب الخلل الذي حصل من الرماة في غزوة أحد لما أدخلوا بها أوجب الله عليهم من الصبر لأعداء الله، ولزوم الثغر الذي يخشى منه فدخل العدو عليهم، وكان الرسول ﷺ قد أمر الرماة أن يلزموا موقعهم وأن لا يبرحوه؛ وإن رأوا العدو

(١) المبسوط (٤/١٠)، وبداية الصنائع (٩/٤٣٠).

يتخطف المسلمون وإن رأوا المسلمين نصروا لا هذا ولا هذا، فعليهم أن يلزموا مكانهم، فلما انهزم العدو يوم أحد ورآهم الرماة انهزموا ظنوا أنها الفاصلة فأخلوا بمواقعهم، وحاول أميرهم أن يثنيهم عن ذلك فخالفوه ظنا منهم أن الكفار لا عودة لهم، وأنهم قد انهزموا انهزاما كاملا فدخل العدو على المسلمين وصارت النكبة على المسلمين والقتل والجراحات والهزيمة حتى حاولوا قتله ﷺ فأنجاه الله من شرهم وأصابه جراحات وكسروا رباعيته ﷺ إلى غير هذا مما أصابه ﷺ، وقتل سبعون من الصحابة وأصاب بعض من بقي جراحات، وأنزل الله فيهم سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرَيْنَكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

المقصود أنهم أصيبوا بسبب الخلل الذي وقع منهم في موقف عظيم من حفظ الثغور وحفظ المنافذ التي ينفذ منها العدو، فحفظ الثغور التي يدخل منها العدو على المسلمين وحفظ المنافذ التي يدخل منها العدو على الجيش وقت اللقاء لا بد فيه للجيش بأن يكون عنده عناية بذلك وعنده حذر وعنده حرص



على سد كل ثغر يمكن أن ينفذ منها العدو على المسلمين ليضرهم أو يأتيهم من خلفهم، ولما استنكر المسلمون هذا الأمر وهذا الحدث المؤلم من الجراح والقتل وقالوا لماذا أصبنا؟ ولماذا جرى هذا؟ وفيهم رسول الله ﷺ، وفيهم خيرة الله من عباده بعد الأنبياء أنزل الله تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ يعني يوم بدر قتلوا سبعين من الكفار وأسروا سبعين وحصلت جراحات في الكفار كثيرة ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ يعني استنكرتم من أين أصبنا كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ وهذا يفيد أن معصية بعض الجيش وإخلال بعض الجيش بالأسباب مصيبة للجميع فأصيبوا بسبب بعضهم.

ومن صفات الجندي المسلم: أنه يحارب المعصية محاربة، فإذا وقع في المعاصي فإنه يتوب إلى الله سريعاً.
وكان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون من المعاصي أشد مما يحترزون من العدو، فإن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه، وإنما ينتصر المسلمون على عدوهم بمعصيته لله، يعني نحن نتصر على العدو متى؟ كيف نتصر على العدو؟ بمعصية العدو لله، فإذا العدو عصي الله نحن انتصرنا عليه إذا كنا نحن من أهل الطاعات.



فإذا استوى المسلمون وعدوهم - إذا كان المسلمون في معاصٍ والعدو في معاصٍ - كان له الفضل عليهم بقوته؛ لأنه أكثر منهم عدداً وأقوى عدة.

إذا استشرت المعاصي في جيش، صرتم أنتم والأعداء سواء، أنتم تفعلون المعاصي وهم يفعلون، ففي هذه الحالة من الذي سيغلب؟ الأكثر عدداً، والأقوى عدة؛ لأنهم استووا في المعاصي..

٧) الأمانة وعدم أخذ عتاد وممتلكات وغنائم الجيش:

ممتلكات الجيش من أسلحة وذخائر وغيرها من الممتلكات كالغنائم بكافة اصنافها تعتبر من المال العام.

والمال العام: هو ما كان مُخَصَّصاً لمصلحة عموم الناس ومنافعهم، أو لمصلحة عامة، كالمساجد والرُّبُط وممتلكات الجيش، وأملاك بيت المال.

وقد وضع المصطفى ﷺ حكم ذلك في الحديث الذي روته خَوْلَةُ الأنصاريَّة رضي الله عنها قالت: **أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رَجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بَغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**^(١).

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث (٢٩٥٠) وأحمد في مُسنده، حديث (٢٧٠٥٥)



قال ابن حجر في الفتح: أي يتصرفون في مال المسلمين بالباطل، وهو أعم من أن يكون بالقسمة وبغيرها^(١).

وعن خولة بنت قيس رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن هذا المال خضرة حلوة، من أصابه بحقه، بُورك له فيه، ورُبَّ متخوِّض فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله، ليس له يوم القيامة إلا النار»^(٢).

قال المباركفوري في تحفة الأحوذى: «ورُبَّ متخوِّض؛ أي: متسارع ومتصرف، قال في المجمع: أصل الخوض: المشي في الماء وتحريكه، ثم استعمل في التلبس بالأمر والتصرف فيه؛ أي: رُبَّ متصرف في مال الله بما لا يرضاه الله؛ أي: يتصرفون في بيت المال، ويستبدون بمال المسلمين بغير قسمة، وقيل: هو التخليط في تحصيله من غير وجه كيف أمكن»؛ انتهى.

فيما شاءت نفسه؛ أي: فيما أحبته والتذت به. ليس له - أي: جزاء يوم القيامة - إلا النار؛ أي: دخول جهنم، وهو حكم مرتب على الوصف المناسب، وهو الخوض في مال الله تعالى.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٦/٢١٩).

(٢) رواه الترمذي في سننه، وقال: حسن صحيح، (٤٢٣٧٤)، وأحمد في مسنده

(٢٧٠٩٩)، وابن جبان في صحيحه، (٤٥١٢) بسند صحيح.

وحتى لو أتاه أحدٌ وأعطاه هَدِيَّةً قَبْلَهَا؛ بِحِجَّةٍ أَنَّهُ صَاحِبُ حَقٍّ فِي أَخْذِهَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ كُلُّ مَا يَأْتِي الْإِنْسَانَ مِنْ أَمْوَالٍ أَوْ هَدَايَا، وَكَانَ قَائِمًا أَوْ عَامِلًا فِي عَمَلٍ يَخْصُ بَيْتَ الْمَالِ، فَإِنَّ هَدِيَّتَهُ تُرَدُّ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وَلَا يَأْخُذُهَا؛ إِذْ لَوْ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ مَا حَصَلَ عَلَى هَذِهِ الْهَدَايَا وَالْعَطَايَا، وَقَدْ حَصَلَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّثِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِي إِلَيَّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ، فَيَنْظُرُ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ؛ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا خُورَارٌ، أَوْ شَاهٌ تَيْعَرٌ»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطِيئِهِ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ ثَلَاثًا»^(١).

رُغَاءٌ: صَوْتُ ذَوَاتِ الْخُفِّ، خُورَارٌ: صَوْتُ الْبَقْرِ، تَيْعَرٌ: مِنَ الْيُعَارِ، وَهُوَ صَوْتُ الشَّاةِ. عُفْرَةُ إِبْطِيئِهِ: بَيَاضٌ مَا تَحْتَ الْإِبْطِ،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا)، ومُحَاسَبَةُ الْمَصْدُقِينَ مَعَ الْإِمَامِ (٥٤٦/٢)، حديث (١٤٢٩)، ومسلم كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العُمَّالِ، (١١/٦)، حديث (٤٨٤٣).



وسُمي عُفْرَة؛ لأنه بياض غير ناصع، كأنه معفرٌ بالتراب، ثلاثاً؛ أي: كررها ثلاث مرات.

أقوال الفقهاء في حكم الاعتداء على المال العام:

لا خلاف بين الفقهاء في أن من أثلف شيئاً من أموال بيت المال بغير حق، كان ضامناً لما أثلفه، وأن من أخذ منه شيئاً بغير حق لزمه رده، أو ردُّ مثله إن كان مثلياً، وقيمته إن كان قيميّاً، وإنما الخلاف بينهم في قطع يد السارق من بيت المال، ولهم في ذلك اتجاهان:

أحدهما: وإليه ذهب الحنفية بأنه لا يُقطع السارق من بيت المال، وبه قال الشافعي وأحمد، والنخعي والشعبي.

وآخرهما: وإليه ذهب المالكية: أن السارق من بيت المال تُقطع يده، واستدلوا على ذلك بعموم قول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] فإنه عامٌ يشمل السارق من بيت المال والسارق من غيره، وبأن السارق قد أخذ مالاً محرّزاً، وليست له فيه شبهة قوية، فُتقطع يده كما لو أخذ غيره من الأموال التي ليست له فيها شبهة قوية^(١).

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، (٤/٣٦٦)، ط دار الفكر.

ويجب على وليِّ الأمر أن يأخذَ على أيدي هؤلاء - سارقي المال العام - والمصيبة تعظم إذا كان القائمون عليه سرّاقاً ولُصُوصاً، وقد قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمته - في بيان ما يجبُ على ولاة أمور المسلمين في الأموال العامة -: «وليس لولاة الأموال أن يُقسّموها بحسب أهوائهم، كما يقسم المالك ملكه، فإنّما هم أمناء ونوّاب ووُكلاء، ليسوا مُلّاكاً؛ كما قال رسول الله ﷺ: «إني والله، لا أعطي ولا أمنع أحداً، وإنما أنا قاسمٌ أضعُ حيث أمرت»^(١)، ثم قال: «فهذا رسول ربِّ العالمين، قد أخبرَ أنه ليس المنعُ والعطاء يارادته واختياره، كما يفعل ذلك المالك الذي أُبيح له التصرف في ماله»^(٢).

الأخذ من الغنائم:

والأخذ من الغنيمة بعد حوزها سرقة، والأخذ منها قبل حوزها غلول، والغلول محرم، وهو من كبائر الإثم لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، قلّ أو كثر؛

(١) رواه البخاري.

(٢) السياسة الشرعية؛ لابن تيميَّة، (ص: ٤٧)، دار المعرفة.



لأنه أكل لأموال المسلمين بالباطل، وإشغال للمقاتلين بالإلتهاة عن القتال، وذلك يفضي إلى اختلاف الكلمة، ثم الهزيمة.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مَن يَغْلِبُ وَمَنْ يَغْلِبُ يَأْتِ بِمَا عَمَلْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهَّجَهُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦١-١٦٢] وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «كان على ثقل النبي ﷺ - أي على متاعه - رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله ﷺ: «هو في النار»، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عبادة قد غلها».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم «خَيْبَرَ»، فلم نَعْمُ ذهباً ولا فِضَّةً، إلاَّ الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجلٌ من بني الضُّبَيْبِ يُقال له: رِفَاعَةُ بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يُقال له: «مِدْعَم» فوجَّه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى، بيننا «مِدْعَم» يحطُّ رجلاً لرسول الله ﷺ إذا سَهَمُ عاتر فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلأ والذي نفسي بيده، إنَّ الشَّمْلَةَ التي أخذها يوم «خَيْبَرَ» من المغانم لم تُصَبِّها المقاسِمُ، لتُستَعْلَ عليه

نارًا»، فلمَّا سَمِعَ ذلكَ النَّاسُ، جاء رجلٌ بشراكٍ أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: «شراكٌ من نارٍ أو شراكان من نارِ الشَّمْلَةِ التي غَلَّها لتشتعلَ عليه نارًا».

حتى من قاتل وأبلى بلاءً حسنًا في المعركة، ولكنه غلَّ من الغنيمة، فله عقوبة شديدة، حتى ولو ظنَّ النَّاسُ أنه في عِداد الشهداء، فالأمرُ ليس كذلك.

في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه: «لَمَّا كان يوم «خَيْبَرَ» أُقْبِلَ نفرٌ من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجلٍ، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كَلَّا؛ إني رأيته في النارِ في بُرْدَةٍ غَلَّها أو عَبَاءَةٍ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب، اذْهَبْ فنادِ في النَّاسِ، أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»، قال: فخرجتُ، فناديتُ: ألا إنَّه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون».

والنبي ﷺ كان كثيرًا ما يعِظُ أصحابه، مبيِّنًا لهم خطورة هذا الأمر الشديد - الغُلُول والسَّرقة من الغنيمة، والتي تُعدُّ بمثابة المال العام الذي ينبغي أن يُحفظَ من قبَل أفرادِه.

فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ فذكرَ الغُلُول، فعظَّمه وعظَّم أمره، قال: «لا ألفينَ أحدكم يومَ القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، على رقبته فرس له حمحمة،



يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً؛ قد أبلغتكَ، وعلى رقبته بعيرٌ له رُغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً؛ قد أبلغتكَ، وعلى رقبته صامتٌ، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً؛ قد أبلغتكَ، أو على رقبته رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً؛ قد أبلغتكَ».

والغلول في اللغة مأخوذ من غلل إذا تخلل الشيء، كأن الغال تخلل المال الذي أخذه بغير وجه حق بين ثيابه يخفيه.

والغلول في الاصطلاح العام يطلق على الخيانة مطلقاً، وهو في الغنيمة أشهر ولا يختص بها بل قد يكون في المال العام.

ولذلك الجندي المسلم لا يغل شيئاً من الغنيمة، وإنما يجمعها كلها ليسلمها إلى قائد الجيش.

الأسباب المؤدّية إلى الاعتداء على المال العام.

- ١ - ضَعْفُ العقيدة عند المعتدي، وِرْقَةُ الدِّيَانَةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى ذَلِكَ.
- ٢ - سَوْءُ الخُلُقِ، وانعدام المُرُوءَةِ.
- ٣ - الجُهْلُ بِأحكامِ الله - عَزَّ وَجَلَّ.

- ٤- عدم مُراقبة المولى سبحانه وتعالى.
- ٥- ضَعْف النُّظْم والأجهزة المُنوطة بحمايته.
- ٦- تقصير وِلِّي الأمر في القيام بالمسؤوليات التي حمَّله الله إياها، وفي هذا المقام نذكر قولَ عمر رضي الله عنه: «لو أَنَّ بَغْلَةً عَثَرَتْ فِي الطَّرِيقِ بِالْعِرَاقِ، لَسُئِلَ عَنْهَا عُمَرُ: لِمَ لَمْ تُمَهِّدْ لَهَا الطَّرِيقَ؟».

٧- ضَعْف القِيمِ الإيمانيَّة، وعدم الالتزام بالأمانة والصدق، والعِفَّة والنَّزَاهة.

٨- ضَعْف رُوح الأَخَوَّة، وعدم وُجُود القُدوة الحَسَنَة.

٩- تَفْسِيُّ المحسوبيَّة والمجاملات الشخصية.

أحكام تتعلق بالغنائم وأخذ عتاد الجيش^(١):

حكم الشريعة المطهرة في أسلحة البغاة وأموالهم المغنومة:

إنَّ الأموال المغنومة من معسكرات البغاة ليست أموالاً مملوكة لهم بل هي إما مغتصبة أو منهوبة من أموال الشعب والدولة، أما في الأسلحة الثقيلة فغصبها من الأمور المتيقنة، وأما غيرها من الأسلحة الخفيفة وسائر الأموال الموجودة ففي الغالب أنَّها مغتصبة

(١) محمد بن أحمد بن الوزير الوقشي، بحث غير منشور.



أو منهوبة والعبرة في الشريعة بالغالب الشائع لا القليل النادر لأنّ النادر لا حكم له كما هو معروف في القواعد الفقهية المشهورة. وعلى فرض وجود أسلحة وأموال شخصية ففي الغالب لا يعرف صاحبها، وكل ما لا يعرف له مالك فولايته عائدة إلى بيت المال (الخزينة العامة للدولة) لتعذر رد المنهوب أو المغصوب إلى صاحبه.

وعليه فلا وجه لاعتبار الأسلحة المأخوذة من معسكرات البغاة والظلمة من الغنائم الشرعية.

وللقيادة الشرعية بعد المناصحة والمشاورة تنفيل فرد أو مجموعة أو الجميع شيئاً من الأموال المغنومة والأسلحة المأخوذة على جهة المكافأة لفعل بطولي أو حاجة ماسة، أو تعويض عن تقصير من جهة الدولة نحو الجنود المقاتلة ويكون التعويض بقدر الحاجة المقدرة بقدرها بناء على قاعدة الظفر المعروفة عند أهل العلم على أرجح الأقوال لقول رسول الله ﷺ لهذ بنت عتبة حين استأذنته أن تأخذ من مال أبي سفيان بغير علمه لشدة بخله فقال لها: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها.



وكذلك عملاً بإطلاق الحديث الثابت: «من قتل قتيلاً فله سلبه»^(١).

وقول رسول الله ﷺ ذلك باعتباره قيادة عسكرية رأى المصلحة في تشجيع الجند من أجل الاستبسال في قتل قيادات الخصم بما يحقق النصر.

والإنكار واجبٌ على كل مشاهد لشخص ينهب أموال البغاة (يتفود)، ويجب الأخذ على يده وذلك بمنعه من هذا العمل المخالف للشرع مع الاستطاعة ما لم يترتب على الإنكار مفسدة أكبر لقول رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

وارتكاب بعض العصاة محذور الفود لا يبرر أخذه من أهل الإيمان والفضل بحجة أنه سيأخذه غيرنا ممن لا يستحق، فكل نفس بما كسبت رهينة.

ويجب على القيادة تكليف جهة معينة بجمع الأموال والأسلحة وتوريدها إلى مخازن الدولة أو المقاومة، ولا ينبغي أن يترك المال سائباً فالمال السائب يعلم الناس السرقة، وقطع الطريق

(١) متفق عليه عن أبي قتادة.



الموصلة إلى المعصية واجب مع القدرة وبلا ترتب مفسدة أكبر؛ لأنّ من قواعد الشرع المعتبرة: أنّ الوسائل تأخذ حكم المقاصد. وتذكيراً لجنودنا المجاهدين اعلموا أنّ الشرع يحرم بيع العهد العسكرية من ذخائر وغيرها من أي شخص كان ولأي شخص كان لأنّ العهدة أمانة، والإخلال بالأمانة مخل بالديانة، ومن ذلك الخط الناري فإنّه أمانة وعهدة لدى المجاهد وليس ملكاً له ولا يستخدمه إلا في القتال ولا يصير مملوكاً له بعد المعركة إجماعاً.

ولا يجوز له بيع شيء من الذخيرة مطلقاً؛ لأنّ ذلك من بيع ما لا يملك وهو باطل شرعاً، ولا يجوز للمشتري أن يشتري تلك الذخائر المعروضة إذا علم أو غلب على ظنه أنّها من العهد العسكرية لأنّ الشراء منه والحالة هذه من التعاون على الإثم والعدوان والله يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] ولا يجوز إتلاف الذخائر لغير حاجة القتال لأنّ فعل ذلك من الإسراف المحرم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [١٤١] [الأنعام: ١٤١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

وقال رسول ﷺ: «وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»^(١).

والتوبة بابها مفتوح متاح لكل من وقع منه مخالفة شرعية قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فإن كان المخالف للشرع جاهلاً بالحكم فتصرفه ذلك وقع على جهة الخطأ، والخطأ مرفوع وبابه عن صاحبه مدفوع قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] وقال رسول الله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه»^(٢).

والتوبة في الحقوق والمسائل المالية باعتبارها أحكاماً وضعية شرط التوبة النصوح فيها يستوجب إرجاع المال المستحق وطلب المسامحة والعفو من له ولاية أو حق.

فإن شق الإرجاع لتعرض المال للإتلاف فإنه يصبح حقاً في الذمة يرجعه من وقعت منه المخالفة متى قدر على ذلك قال الله

(١) صحيح مسلم، وصحيح ابن حبان برقم: (٥٧٢٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير عن ثوبان وحسنه الألباني.



تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥] وذلك دفعاً للمشقة بناءً على قاعدة الشرع الكلية: أن المشقة تجلب التيسير لقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ولقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

كيفية التوبة من سرقة المال العام^(١):

القائم بالاعتداء على المال العام بسرقة أو نهب ونحوه، مُعْتَدٍ على عموم المسلمين لا على الدولة فقط، وَمَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهُ، والواجب عليه رَدُّهُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ - خزينة الدولة - لِمَا رَوَى أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذْتُ، حَتَّى تُؤَدِّيَهُ»^(٢).
قال ابن قدامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا ثَبَتَ هَذَا، فَمَنْ غَصَبَ شَيْئًا، لَزِمَهُ رَدُّهُ إِنْ كَانَ بَاقِيًا بغيرِ خِلافٍ نَعْلَمُهُ»^(٣). وهذا الرَدُّ مِنْ تَمَامِ التَّوْبَةِ، فَإِنَّهُ

(١) محمد بن أحمد الوزير الوقشي، مذكرة غير منشورة.

(٢) رواه أحمد في مُسْنَدِهِ، (٢٠٠٨٦)، وأبو داود في سُنَنِهِ (٣٥٦١)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ (١٢٦٦)، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَؤُوطُ فِي تَحْقِيقِ المُسْنَدِ: حَسَنٌ لغيره.

(٣) المغني؛ لابن قدامة المُقَدِّسِي، (٣٧٤/٥).



يُشترط لصحة التوبة رَدُّ المظالم والحقوق إلى أهلها، مع الندَم والاستغفار، والعزم على عدم العود لذلك، لكن إذا تعذَّر الرَدُّ إلى بيت المال، فإنه يتصدَّق بما بقي من المال على الفقراء والمساكين، وإن كان هو فقيرًا، جازَ أن يأخذ منه قَدْرَ حاجته.

نسأل الله أن يُجِنِّبنا المكاسبَ المحرَّمة، وأن يحفظنا عن الحرام أيًّا كان، وصلى الله على نبيِّنا محمدٍ وسلَّم.

٧) الصبر والمصابرة والرابطة:

قال تعالى: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا

وَأَنْقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠] إِنَّ اللَّهَ جَلَّ فِي

علاه قَرَنَ الصَّبْرَ والمصابرة بالرباط في سبيل الله، والرباط في الآية معناه: المداومة في مكان العبادة والثبات، وقيل: انتظار الصلاة بعد الصلاة^(١).

قال ابن عطية رحمته الله: والقول الصحيح هو أن الربط: المُلَازمة في سبيل الله. أصلها من رَبط الخيل، ثم سُمِّيَ كُلُّ مُلَازِمٍ لِشَعْرٍ مِنْ تُغُورِ الإِسْلَامِ مُرَابِطًا^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٩٥/٢).

(٢) القرطبي (٣٢٣/٤).



فالجهاد يحتاج إلى صبر كبير ومعالجة للنفس على تحمّل الأذى والمشاق، سواء كان الأذى والمشقة من قِبَلِ العدوِّ قتلاً وأَسْراً وجرحاً وإتلافاً، أو من قِبَلِ الناس ذمّاً وشتماً وإيذاءً، أو الأذى العام الذي قد يصيبُ المجاهدَ من بردٍ وجوعٍ وقلّةِ ذاتِ اليدِ والبعدِ عن الأهلِ.. إلخ.

لا نصر بغير صبرٍ:

والنصر لا يكون بغير صبرٍ، لذلك قرنه النبي ﷺ بالصبر في قوله: «واعلم أن النصر مع الصبر»^(١).

ويبين الله ذلك في كتابه بقوله: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١] وقال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧] فالغلبة والنصر حليفٌ للمؤمنين ما داموا صابرين.

(١) رواه أحمد في المسند وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وصححه الألباني.

إن الحياة صراعٌ بين الحق والباطل، ويفوزُ في هذا الصراعِ الأطولُ نفساً والأكثرُ تحملاً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُوب﴾ [الفرقان: ٢٠] نحن أولى بالصبر:

وإذا كان الأعداء يوصي بعضهم بعضاً بالصبر، ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ﴾ [ص: ٦] ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهِتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢] أفلا يكونُ صبرُنا أشدَّ من صبرهم؟! وكيف لا يكون ذلك وهم على الباطلِ ونحن على الحقِّ.

فمغالبةُ الأعداء بالصبرِ هي المصابرةُ التي أمر الله بها في كتابه بقوله: (وَصَابِرُوا).

فكأننا هو رهانٌ وسباقٌ بينهم وبين أعدائهم، يدعون فيه إلى مقابلة الصبرِ بالصبرِ، والدفعِ بالدفعِ، والجهدِ بالجهدِ، والإصرارِ بالإصرارِ.. ثم تكون لهم عاقبة الشوطِ بأن يكونوا أثبتَ وأصبرَ من الأعداء. وإذا كان الباطلُ يصرُ ويصبرُ ويمضي في الطريق، فما أجدَرَ الحقِّ أن يكونَ أشدَّ إصراراً وأعظمَ صبراً على المضيِّ في الطريق!



ولو لم يكن من نعمة الصبر إلا أنه يُمَيِّزُ الصفوفَ ويكشفُ معادنَ الرجالِ في مواطنِ النزالِ لكفى به من نعمة، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

من الأمور التي ينبغي أن يصبر عليها المجاهد:

أ- الصبر على القتل والجراح:

إنَّ المجاهدَ الذي يعيشُ جَلَّ وقته بين إخوانه وأصحابه من المجاهدين ويقاسمُهم أفراحهم وأحزائهم وطعامهم وشرابهم ثم يراهم مجندينَ مضرجينَ بدمائهم، أو قد أثنختهم الجراحُ أو وقعوا في الأسر ليعظُمَ وَقَعُ هذا عليه، فقد يثخنُ العدوُّ في المسلمينَ الجراحَ، ويقتلُ خيرةَ المجاهدينَ، ويأسرُ منهم، وما على المجاهدِ في مثل هذه الحال إلا الصبرَ والاحتسابَ وإكمالَ مسيرة الجهادِ ورفعِ راية الدين.

موت القائد لا يُثنى المجاهدين عن متابعة القتال:

وموتُ القائدِ كذلك أمرٌ عظيمٌ له وَقَعُهُ على نفوسِ المقاتلين، ولكن ينبغي على المجاهدين أن يعلموا أن قتالهم لله لا للقائد، وأنهم

يقاتلون في سبيل غاية يصلون إليها وهي إعزاز دين الله سبحانه، فلو قُتِلَ قائدُهم فلا ينبغي لهم التراجع حتى يصلوا إلى غايتهم.

﴿وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]

أَيُّ مَا وَهِنُوا لِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ، أَوْ لِقَتْلِ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، أَيُّ مَا وَهَنَ بَاقِيَهُمْ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ. (وَمَا ضَعُفُوا) أَي عَنِّدُوهُمْ. (وَمَا اسْتَكَانُوا) أَي لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ. وَالْإِسْتِكَانَةُ: الدَّلَّةُ وَالْحُضُوعُ^(١).

ولتعلموا أيها المجاهدون أن الألم الذي أصابكم، والجراح التي أختتكم، والحزن الذي ملأ قلوبكم، كل هذا قد أصاب أعدائكم مثله، ولكنكم تفضلونهم في الدنيا بالإيمان، وفي الآخرة بالجنان، فلا تحمِلنَّكم فاجعتكم بإخوانكم على اليأس وترك الجهاد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٣) إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ



وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠] قال ابن جرير: «ولا تهنوا ولا تحزنوا»، يا أصحاب محمد، يعني: ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحدٍ، من القتل والقروح - عن جهادِ عدوكم وحرِّبهم.

وقال أيضاً فيما رواه عن قتادة رضي الله عنه: يعزِّي أصحاب محمد رضي الله عنهم كما تسمعون، ويحثُّهم على قتالِ عدوِّهم، وينهاهم عن العجزِ والوهنِ في طلبِ عدوِّهم في سبيلِ الله^(١).

- قال زياد بن عمرو رضي الله عنه: «كلُّنا نكره الموتَ وألم الجراحِ، ولكنَّا نتفاضلُ بالصبرِ»^(٢).

استشهاد كثير من خيار الصحابة في أحد:

ولتعلموا أيها المجاهدون كذلك، أنه في غزوة أحدٍ فقط استشهد كثيرٌ من قادة الصحابة وخيارهم ومن لهم مكانةٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم كأمثالِ حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير،

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٧/٢٣٤).

(٢) موسوعة الاخلاق الاسلامية (١/٣١١) نقلاً عن الصبر وثوابه لابن أبي الدنيا.



وعبد الله بن جحش، وحنظلة غسيل الملائكة، وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر الذي كلمه الله كفاحاً من غير حجاب، وخيثمة، وعمرو بن الجموح، وأبي حذيفة بن اليمان، ووهب المزني، وابن أخيه رحمهم الله.

وموت هؤلاء كان كالكارثة حلت بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ومع ذلك لم يقعد صلى الله عليه وسلم عن القتال لحظة، بل استطاع أن يعيد شتات الجيش، ثم يؤسس المشركون من حسم المعركة نهائياً بسبب أن المسلمين استعادوا مواقعهم واستبسلوا في القتال والدفاع عن نبيهم، وكل هذا كان بعد التفاف خالدٍ عليهم بعد نزول الرماة^(١).

وفي غزوة مؤتة استشهد القادة الثلاثة، جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وأسامة بن زيد رحمهم الله، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة شهداء مؤتة عند الله تعالى بقوله: «ما يسرني أو قال ما يسرهم أنهم عندنا»، أي: لما نالهم من عظيم التكريم.

فأتم الأعلون أيها المجاهدون فلا تهنوا ولا تحزنوا.

(٣) أنظر البداية والنهاية (٥/٤٤٥-٤٤٦-٤٤٧)، وسيرة ابن هشام (٣/٧٢).



ب- الصبر على الجوع والعطش والبرد والحر والتعب والنصب:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَيْتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠]

يقول ابن كثير رحمته: يُعَاتِبُ تَعَالَى الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، وَرَغَبَتَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ مَوَاسَاتِهِ فِيمَا حَصَلَ مِنَ الْمَشَقَّةِ، فَإِنَّهُمْ نَقَصُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ؛ لِأَنَّهُمْ (لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ) وَهُوَ: الْعَطَشُ (وَلَا نَصَبٌ) وَهُوَ: التَّعَبُ (وَلَا مَخَمٌ صَةً) وَهِيَ: الْمَجَاعَةُ (وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ) أَي: يَنْزِلُونَ مَنَزَلًا يُرْهَبُ عَدُوَّهُمْ (وَلَا يَنَالُونَ) مِنْهُ ظَفْرًا وَعَلْبَةً عَلَيْهِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الَّتِي لَيْسَتْ دَاخِلَةً تَحْتَ قُدْرَتِهِمْ، وَإِنَّمَا هِيَ نَاشِئَةٌ عَنْ أَفْعَالِهِمْ، أَعْمَالًا صَالِحَةً وَثَوَابًا جَزِيلاً (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] (١).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤).

ج- أمثلة من صبر الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم:

١. جوع الصحابة في الجهاد:

عن قيس قال: سمعت سعداً رضي الله عنه يقول: إني لأول العرب رمى بسهمٍ في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضعُ كما يضعُ البعيرُ أو الشاةُ ما له خلطٌ - أي لا يختلطُ بعضه ببعضٍ من شدة جفافه^(١).

ويروي لنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه معاناته من شدة الجوع (وكان أحد المحاصرين بالشَّعبِ)، فيقول: كُنَّا قَوْمًا يُصِيبُنَا ظَلْفُ الْعَيْشِ بِمَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَشِدَّتْهُ، فَلَمَّا أَصَابَنَا الْبَلَاءُ اعْتَرَفْنَا لِذَلِكَ وَمَرْنَا عَلَيْهِ وَصَبَرْنَا لَهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ خَرَجْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولُ، وَإِذَا أَنَا أَسْمَعُ بِعَفْعَةِ شَيْءٍ تَحْتَ بَوْلِي، فَإِذَا قِطْعَةٌ جِلْدِ بَعِيرٍ، فَأَخَذْتُهَا فَعَسَلْتُهَا ثُمَّ أَحْرَقْتُهَا فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ حَجْرَيْنِ، ثُمَّ اسْتَفَفْتُهَا وَشَرَبْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَقَوِيَتْ عَلَيْهَا ثَلَاثًا^(٢).

(١) البخاري (٣٧٢٨).

(٢) حلية الأولياء (٩٣/١).



وفي صبرهم على البرد كذلك يحدثنا أنس رضي الله عنه فيما يرويهِ البخاري عما حصل معهم في غزوة الخندق، قال: (خرج رسول صلى الله عليه وسلم إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصبِ والجوع قال: اللهم إنَّ العيشَ عيشُ الآخرة فاعفُ للأَنْصارِ والمهاجرة فقالوا مجيبين له: نحنُ الذين بايعوا محمداً على الجهادِ ما بقينا أبداً^(١)).

بايعوه على الجهادِ ما دامت بهم حياة، ولم يتركوا الجهادَ لأنهم أصبحوا في قلةٍ من العيشِ. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق يربطُ على بطنه الحجرَ والحجرين من شدة الجوعِ. لقد جاعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكرٍ، وعمرُ، وجلُّ الصحابةِ رضي الله عنهم، وما شكوا يوماً.

٢. صبر الصحابة على الحرِّ:

فقد كانوا في غزوة ذاتِ الرقاعِ يشقُّون من ثيابهم ويربطون على أرجلهم من شدة الحرِّ لأنَّ بعضاً منهم كان يمشي حافياً، ولذلك سُمِّتْ غزوة ذاتِ الرقاعِ.

(١) البخاري: كتاب المغازي، (٤٠٩٩)، مسلم: كتاب الجهاد، (٤٦٧٦).

وفي تخلف المنافقين عن النبي ﷺ في غزوة تبوك وقد كانت في شدة الحرّ وطيب الظلال والثمار أنزل الله قوله: ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١] أما الصحابة رضي الله عنهم فلازموا رسول الله ﷺ.

٣. صبرهم على الفقر كذلك نرى ما كان من مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي كان قبل إسلامه من أغنى الناس، تكسوه أمه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحسن لمة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير».

وعندما استشهد مصعب في غزوة أحد لم يجدوا له إلا ثوباً واحداً، إن غطوا رأسه بدت رجلاه، وإن غطوا رجلاه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «غطوا رأسه واجعلوا على رجليه الإذخر»^(١). ومثله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه الذي استشهد في أحد ولم يجدوا ما يكفونه به إلا ثوباً واحداً، أسد الله لا يملك إلا ثوباً

(١) البخاري: كتاب الجنائز، (١٢٧٦).



واحدًا!! لله درُّهم من رجالٍ. وهذا عبدُ الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه يعاتبُ نفسه على طعامٍ أتاه وكان صائماً، ويخشى أن تكون طيباته قد عَجَلَتْ له في الدنيا، يقول عبدُ الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه: (قُتِلَ مصعب بن عمير وكان خيراً مني فلم يوجد له ما يُكفّنُ إلا بُردَةً، وقُتِلَ حمزةٌ أو رجلٌ آخر فلم يوجد له ما يُكفّنُ به إلا بردةً، لقد خشيت أن يكون قد عَجَلَتْ لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعلَ بيكي)^(١)، فاللهم اجعلنا خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ.

٤. الصبر على أذى الناس:

إن دُعاةَ الفتنةِ والهزيمةِ والبلبلةِ موجودون في كلِّ زمانٍ، وإنهم ليكثرُونَ ويظهرونَ في أوقاتِ الشدَّةِ والنزالِ، وما أكثرهم اليومَ في معركتنا الحالية، ممن ليس عندهم إلا عباراتُ القذفِ والتخوينِ والاتهامِ بغيرِ دليلٍ ولا برهانٍ، وإنما قيلَ عن قال.

فمتى سمعَ المجاهد من غيره اتهاماً بالسرقة، أو الهزيمة، أو تحميله مسؤولية ما لا يطيقُ من نتائج ما حصل، وغيرها من الاتهاماتِ، فما عليه إلا الصبرَ والاحتسابَ.

(١) البخاري: كتاب الجنائز (١٢٧٤).

٨) الانضباط والطاعة^(١):

الطاعة والانضباط في الحرب من أعظم عوامل النصر وعمود معركة الحسم، ففي غزوة حنين عندما انضبط أصحاب بيعة الشجرة بعد النداء سبب تعديل وضع المعركة من هزيمة إلى انتصار ساحق، وفي المقابل مخالفة الرماة في غزوة أحد لأوامر القيادة المتمثلة بالنبي ﷺ التي تقضي بالبقاء بجبل الرماة، وعدم مغادرة مواقعهم أيًا كانت نتائج المعركة حولت نصر المسلمين إلى هزيمة. وخوض حرب بجيش قليل منضبط خير من خوضها بعدد كبير، ولكنهم كغثاء السيل، مصابون بالوهن وضعف الانضباط. والانضباط: هو تنفيذ التوجيه - في غير معصية - على الفور أو في الوقت المحدد بلا تأويل أو تردد وبلا زيادة أو نقص، وقد بين الإسلام أحكام الانضباط في القتال ويمكن إجمالها فيما يلي:

الأمر الأول: الانضباط في الحضور فقد حشر الله لسليمان عليه السلام جنوده من الجن والإنس والطير فحكى الله عنه في كتابه العزيز فقال: ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ، أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مَبِينٍ﴾ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ.

(١) مذكرة غير منشورة بعنوان «نحو النصر» إعداد شعبة الإرشاد الديني.



وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُقِينِ ﴿٢٣﴾ [النمل: ٢٠-٢١]. ووجه الدلالة: أن الهدهد من جنود سليمان عليه السلام والجندي لا يغيب إلا بإذن القيادة، ويستحق الجندي العقوبة من القيادة حسب المخالفة، ولا بد أن تكون القيادة حازمة ولنا في سليمان عليه السلام أسوة وقدوة، ويعذر الجندي بالغياب لظروف طارئة المعبر عنها في الآية: (بسلطان مبين) أو قيامه بعمل في مصلحة الجيش والمعركة.

الأمر الثاني: الحذر من إذاعة الشائعات، فهي من معالم ضعف الانضباط والواجب لمن سمع شيئاً التزم الشرع الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. وعليه: فيجب على المجاهد أن ينقل ما سمعه كما هو إلى قيادته بلا إشاعة بين زملائه، لأن إذاعة الأمر في ظروف الخوف من المخالفات الشرعية وينافي الأخلاق العسكرية والأوضاع القتالية.

الأمر الثالث: تنفيذ التوجيه على الكمال بلا زيادة أو نقص كما فعل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في غزوة الأحزاب حين كلفه النبي صلى الله عليه وسلم

بالاستطلاع ولا يحدث أي حدث فأتاحت له فرصة قتل القيادة العليا للجيش الغازي المتمثلة في أبي سفيان بن حرب، وكان قد أخذ قوسه وهمّ بقتله إلا أنه تذكر قول القائد (ولا تحدث) فتوقف وانضبط بالتكليف بلا زيادة، وأثنى النبي ﷺ على فعله.

الأمر الرابع: التزام توجيه القيادة ولو كان في أمر لا يوافق هواه، كمنع طالوت عليه السلام الجيش من شرب الماء، ولا فائدة للمعركة في الظاهر إن امتنعوا عن الشرب، لأن العطش من أسباب الضعف عن القتال، وهو ينافي مقصود المعركة، ولكن هذا الفهم لا يخفى على قيادة كفوءة، فمخالفتها لأمر ظاهر يدل على أن وراء التوجيه مصلحة خفية، ومقتضى- الثقة في القيادة الانضباط بالالتزام التوجيه وترك ما تراه النفس من الهوى لأول وهلة.

وذلك أن الثقة واجبة في الله بالنصر وفي القيادة بالسداد وفي السلاح بالجودة وفي الخطة بالسلامة والدقة، وكل تصرف ينافي ذلك فمن مظاهر ضعف انضباط الجند، وإنما وقع أكثر جند طالوت عليه السلام في المخالفة حين أسأؤوا الظن في القيادة، ولو أحسنوا الظن لما وقعوا في الزلل.

الأمر الخامس: لا بد في التوجيه أن يكون واضحاً لا مدخل



فيه للتأويل والاحتمال، بحيث لا يفهم على خلاف المقصود وانظر توجيه طالوت عليه السلام في الآية السابقة، وتأمل في صريح كلام النبي ﷺ لأصحابه في غزوة أحد حين قال لهم: «لا تبرحوا مكانكم حتي يأتيكم أمري، وإن رأيتمونا تتخطفنا الطير»، فإن كان التوجيه يحتمل التأويل فلا إنكار على المخالف كما وقع في غزوة بني قريظة حين قال النبي ﷺ للصحابة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»، ففهم بعضهم من الحديث أن مقصود النبي ﷺ من الأمر الإسراع فصلوا العصر في الطريق، وحمل البعض الآخر التوجيه على ظاهره فلم يصلوا العصر إلا بعد غروب الشمس، فلما حكى الصحابة للرسول ذلك سكت عن فعل الجميع، وسكوته إقرار بالفعل.

الأمر السادس: مراجعة رأي القيادة في كل فكرة طارئة لا

يدري فيها ما هو الموقف الصائب، فقد كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في أكثر من حادثة لرسول الرحمة: (ائذن لي أن أضرب عنقه)، فكان لا يقدم على أمر بلا إذن، فلا ينبغي للفرد أن لا يتجاوز القيادة في أي أمر.

الأمر السابع: الظهور أمام العدو في الصف كالبنيان المرصوص في حال الحرب وهو من معايير انضباط الفرد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُيِّنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤] وفي الحروب الحديثة حسن الإعداد والترتيب والدقة في التكتيك والمناورة.

الأمر الثامن: الانضباط واجب وكل ما لا يتم الانضباط إلا به فهو واجب، لان للوسائل حكم المقاصد في الشرع، ولذا يجب العمل على بذل اسباب الانضباط، وترك كل ما ينافيه كالتردد أو التأخر أو التسويف.

أما التردد: فمثاله تردد الصحابة (رضوان الله عليهم) في قبول صلح الحديبية لما تضمنه من شروط مجحفة في نظرهم.

وأما التأخر: فقد غضب النبي ﷺ حين أمر بالنحر للهيدي بعد صلح الحديبية فتأخر الصحابة فقال: «هلك القوم أمرهم فلا يطيعون»، ثم نحر النبي ﷺ هديه فنحر الصحابة بعده.

وأما التسويف: فإن التسويف هو السبب الرئيس في تخلف الثلاثة (كعب بن مالك - ومرارة بن الربيع - وهلال بن أمية) عن حضور غزوة تبوك بعد استنفار النبي ﷺ الناس للخروج.



الأمر التاسع: كل أمر اختلفت فيه وجهات النظر فالواجب على الفرد التزام رأي القيادة فيه لأن من أصول الشرع أن رأي الأمير يرفع الخلاف والدليل على ذلك صلاة الصحابة في غزوة ذات السلاسل وراء عمرو بن العاص رضي الله عنه قائد السرية وذلك أنه صلى بهم الفجر جماعة وهو متيمم من جنابة لشدة البرد، وصلوا خلفه مع أنهم كانوا يرونه صلى بهم وهو جنب وهم على طهارة كاملة، وصلاة الجنب لا تجوز، وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله، وكان رأيهم أن لا يصلي بهم، ولكن الصحابة الكرام رضي الله عنهم لحسن انضباطهم صلوا وراءه لكونه أميرهم ورأيه مقدم على رأيهم، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم فعل عمرو بن العاص بصلاته بهم وهو متيمم لخشيته الضرر على نفسه لو اغتسل، والتيمم يقوم مقام الوضوء مع العذر في استخدام الماء، وعليه جمهور أهل العلم صحة صلاة المتوضئ خلف الإمام المتيمم.

الأمر العاشر: إذا أمر القائد أفراده بما يخالف أمرا مجمعا عليه أو ورد به صريح النص فلا سمع ولا طاعة، ولا يوصف المخالف بأنه غير منضبط لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وإنما الطاعة في المعروف، فقد أمر خالد بن الوليد رضي الله عنه جنوده في غزوة،

بقتل من في أيديهم من الأسرى فامتنعوا، فلما بلغ النبي ﷺ ما فعل خالد قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد».

فيا أيها الأبطال عليكم بالطاعة والانضباط في كل أمر، ولو لم تدركوا حكمته ومقصوده، فالمعركة وظروفها تقتضي - الاستعجال والسرية، والحرب عمود النصر فيها الانضباط، وبالتعاون تقوم الأعمال العظيمة في الأرض والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

٩) عدم التنازع والخلاف:

إن الله أمر المؤمنين بالاجتماع والاعتصام ونهاهم عن الفرقة والانقسام، وجعل في ذلك سنة جارية لا تتخلف أن التنازع بينهم سبب للفشل والخسران، وأن الاجتماع والائتلاف على ما جاء به نبيه ﷺ سبب للنصر والفلاح في كل زمان ومكان.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنفُسَكُمُوهَا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فهذا نص قطعي في حرمة التنازع بين المؤمنين، مع بيان عاقبة هذا التنازع إن استشرى وتمكن من صف المؤمنين المجاهدين الواحد وهو الفشل والذي هو أعم من الهزيمة في معركة فالهزيمة نوع من الفشل، وقد تكون مؤقتة، ولكن الفشل الناتج عن التنازع والتخاصم يمتد ليشمل جميع أحوال المؤمنين، فيدخل في قلوبهم عقيدة الانهزام



والوهن والجبن، فينعكس ذلك واقعاً مريراً بذهاب القوة والبأس فيتحول إلى حالة انهزام وضعف قد تستمر فترة من الزمن بقدر قوة هذا التنازع، مما يكون له الأثر المؤلم في تسلُّط أعداء التوحيد على المؤمنين، فيستبيحون بيضتهم وحرماهم وفتنتهم في دينهم... وبين الشارع الحكيم ما ينبغي أن يكون عليه أهل الإيمان فيما بينهم من علاقات اجتماعية فقال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وفي نفس المعنى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ويسخط لكم ثلاثاً: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. يقول السعدي رحمته الله في تفسير هذه الآية: نهاهم عن سلوك مسلك المتفرقين، الذين جاءهم الدين والبيّنات الموجبة لقيامهم به، واجتماعهم، تفرقوا واختلفوا وصاروا شيعاً، ولم يصدر ذلك عن جهل وضلال، وإنما صدر عن علم وقصد سيئ، وبغي من بعضهم على بعض، ولهذا قال: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ



عَدَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بَيْنَهُ مَرَصُوصٌ ﴿٤﴾
[الصف: ٤] قال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: هذا تعليم من الله تعالى
للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم.

و في نفس المعنى من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنیان يشدّ بعضه بعضاً»^(١).

وأيضاً من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد
الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى»^(١).

ومن أهم أسباب التنازع والاختلاف: شهوات النفس وترجيح
حظوظها على الاجتماع والائتلاف فتتوجه علماء وعملاً نحو الإمارة
والزعامة والرياسة، وذلك من ضعف الإيثار فيضعف الإخلاص
ويقوى حب الرياء والسمعة، وحينها لا تجد هذه النفس المريضة
غضاضة في النيل من الآخرين بما يهدم مناقبهم، لتتم إزاحتهم
وإخراجهم من الصف الواحد لأجل شهوة النفس في الرياسة

(١) متفق عليه.

(١) رواه البخاري ومسلم.



والزعامة، وهذا من الأمراض التي تظهر في جبهات الجهاد والتي ينشأ عنها النزاع لمحاولة إثبات أحقية الصدارة، وقد يعجب البعض من وقوع مثل هذا من بعض من رصد نفسه للجهاد ظاهراً وهو في موطن تكثر فيه مظان الموت فيحتاج أن يكون حاله أقرب إلى الإخلاص منه إلى الرياء، وليس هناك عجب فالمجاهد كغيره تتنابه هذه الأمراض، فحب الرياسة والإمارة والزعامة شهوة خفية قد لا يشعر بها المجاهد في موطنه الذي نفر منه إلى الجهاد، فقعد الشيطان له في طريق الجهاد وزين له حب الرئاسة والزعامة فيعادي عليها مشعلاً لنار النزاع والخلاف للوصول لشهوته القاتلة فيحدث الفشل وذهاب القوة ويسري الوهن في جسد الصف الواحد، وقد حذر النبي ﷺ ويُن خطورة حرص المؤمن لا سيما المجاهد على هذه الشهوة فقال: (ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه^(١)).

قال سفيان الثوري رحمه الله: ما رأيت زهداً في شيءٍ أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب فإن نوزع الرئاسة تحامى عليها وعادى.

و كذلك من أمراض الشهوات على أرض الجبهات التحاسد

(١) رواه الترمذي عن كعب بن مالك، ورواه الطبراني عن أبي هريرة، حسن صحيح.



والغرور، والتشاحن ونحو ذلك من الأمراض التي لا يخلو منها أي اجتماع، وكلها مع الاجتماع ينفث فيها الشيطان لإحداث النزاع والشقاق ليفشل المجاهدون وتذهب ريحهم.

لا شك أن أخطر أسلحة الشيطان الفتاكة على المؤمنين عمومًا والمجاهدين خصوصًا التنازع والشقاق لتتمكن من القلوب فيحدث بها الفرقة بعد الاجتماع، والتنافر بعد الائتلاف والعداوة بعد الأخوة والمحبة، ولذا على قادة الجهاد من أهل العلم والحلم والحكمة ألا يتركوا مجالاً لبيئة التنازع، وذلك بالعمل على منع وقوعه بالتصدي لأسبابه بالعلم والعمل والتربية الإيمانية، وكذلك العمل على رفعه إذا وقع بالدعوة إلى الإصلاح ورد الأمر المتنازع فيه إلى الله والرسول ﷺ والمقياس المعصوم.

كيف يمنع وقوع التنازع:

و لمنع التنازع فلا بد من سد ذرائعه، ومن أشهر ذرائعه الخلاف في بعض الأمور المتعلقة بالعلم أو التطبيق للأحكام وتسد هذه الذريعة من خلال طريقتين:

أولاً: الثقافة الشرعية الخاصة بالخلاف وكيف يكون حال



المؤمن معه بحسب درجته في مقياس الشرع.

ثانياً: التطبيق العملي لهذه الثقافة، ومتابعتها والتأكد دائماً أنها روح سائدة بين صفوف المؤمنين المجتمعة.

و المقصود أن تغلب الثقافة الشرعية للتعامل مع الخلافات على الثقافة الخاصة بآراء الكيانات الاجتهادية، وتعليم الأفراد أن الآراء الاجتهادية تسقط لأجل الاجتماع عند التزاحم، وأن يكون ذلك حجراً أساسياً في البناء التربوي للفرد داخل العمل الجماعي لا سيما الجهادي.

وعلينا ان ندرك أن الآراء الاجتهادية في حيز الخلاف المعتبر ليست مجالاً للولاء والبراء والحق والباطل والتعصب والتنازع والشقاق، واختلاف التضاد بل هي مجال الصواب الذي يحتمل الخطأ والخطأ الذي يحتمل الصواب والراجح والمرجوح، وسقوط الخلاف للاجتماع والاتلاف.

ولم تكن سطوة أعداء الأمة واستيلاؤهم على ديارها وأبنائها إلا من خلال التنازع والفرقة والوهن في صفوف المسلمين وليس لخصائص القوة عند الأعداء.

فما سقطت الأندلس إلا بعد أن أصبحت دويلات متناحرة



متنازعة متفرقة، همهم الزعامة والرياسة وحصد ألقاب الملك
والسلطان، قال الشاعر فيهم:

ما يزهديني في أرض أندلس
أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهريحكي انتفاخاً صولة الأسد

و لم تسقط الدولة العثمانية إلا بعد أن تمزق جسدها، ونجح
عدوها الصليبي في إعمال قاعدة فرّق تسدّ بينها بإتقان ففرق شملها
وأوهن أوصالها، فأصبحت على هامش التاريخ لا أثر ولا عين، مع
تجرعها لألوان الهوان من أعدائها.

و غير ذلك من وقائع التاريخ كثير مما يؤكد أن سنة ﴿وَلَا
تَنَزَعُوا أَنفُسَكُمُ وَأَنزِعُوا وَأَنزِعُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ ثابتة لا تتخلف، وعلاقة لا تنفك،
والسعيد من وُعظ بغيره.

نسأل الله تعالى أن يلهم مجاهديننا في جبهات الجهاد رشدهم،
ويوحّد صفوفهم وأن يدحر داعي التنازع بينهم، وأن يجعل سلامة
الصدر والإخلاص عنوانهم، وأن يحقق على أيديهم آمال



المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال، ويرجع بهم عز الأمة المسلوب، ويخرج بهم العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن الظلمات إلى النور.. اللهم آمين.

١٠) عدم التسرع في نقل الاخبار ونشر الصور من أرض المعركة:
الجندي المسلم من صفاته: أنه لا يطير بالأخبار يميناً وشمالاً، فربما تثير الفزع والرعب والخوف، وكثيراً ما تكون إشاعات يشيعها العدو وأشياء مختلقة لا أساس لها من الصحة، وإنما هي حرب نفسية يشنها العدو علينا.

ولذلك قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

وأن كلمة عابرة وفتنة لسان، قد تجر من العواقب على الشخص ذاته، وعلى المجموع كله ما لا يخطر له ببال؛ وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال!

وسواء كانت هذه الاخبار خوف او أمن فكلتاها قد يكون



لإشاعتها خطورة مدمرة! - فإن إشاعة أمر الأمن مثلاً في معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة من العدو.. إشاعة أمر الأمن في مثل هذا المعسكر تحدث نوعاً من التراخي - مهما تكن الأوامر باليقظة - لأن اليقظة النابعة من التحفز للخطر غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر! وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية! كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته، ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة. وقد تحدث إشاعة أمر الخوف فيه خلخلة وارتباكاً، وحركات لا ضرورة لها لاتقاء مظان الخوف.. وقد تكون كذلك القاضية!.

والناس تفعل فيهم الإشاعات أشد من فعل القنابل والصواريخ، ولذلك لا تنشر هذه الأخبار التي تثير الرعب في نفوس المجتمع، وإذا جاءك شيء فتأكد منه من المصادر المسؤولة المعنية بالأمر، وترجع فيه إلى أولى العلم بهذه الأمور.

وقصة نزول القرآن في الرجل الذي سرب سراً من أسرار جيش المسلمين إلى قريش: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [المتحنة: ١] فمن الأخلاق الحميدة والصفات الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها المجاهد هي



كتمان السر وعدم إفشائه، ولا يقدر على ذلك إلا ذوو الشهامة والمروءة، ولهذا قيل: «أدنى صفات الشريف كتم السر، وأعلىها نسيان ما أسر به إليه». وقد حثت السنة النبوية على رعاية هذا الجانب، فعن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ التَّفَتَ فِيهِ أَمَانَةٌ» وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، فلا يجلس لأحدهما أن يفشي - على صاحبه ما يكره»، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «القلوب أوعية، والشفاه أقفالها، والألسنة مفاتيحها، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره.

حكم إفشاء السر:

إنّ ما أمر الشرع بكتمانه فحكمه ظاهر باعتبار فهم دلالة الخطاب الشرعي.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان». أي: اكتفاء بإعانة الله وصيانة للقلب عما سواه وحذرا من حاسد أو مشبهه يطلع عليها قبل التمام فيعطلها فاکتموا أيها المجاهدون واستعينوا بالله على الظفر بها وقضاء حوائجكم بالسر والكتمان».

أما ما يطلب من المجاهد كتمانه مما يبليغ به غيره، فإنه إذا كان

إفشاء السر يتضمن ضرراً بإفشاء السر حرام، باتفاق الفقهاء، والضرر عامٌّ في كل ما يؤذي المجاهدين وخصوصاً إخوانه. وأما إذا لم يتضمن ضرراً فالمختار عند الفقهاء عدم جواز إفشائه متى ما طلب منه الكتمان، أو دَلّ الحال على ذلك، أو كان مما يُكتم في العادة.

لذا أخي المجاهد إن العمل الذي أنت قائم عليه إنما كله أسرار والعدو يترصد بنا، فكان لازماً أن لا تُحدث بكل ما ترى أو تسمع قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] فلا تتحدث بما لا تعلم وبما لا يعينك وحجتك قال فلان وهكذا بل لا بد من التأكد والبيّنة.

ومن النماذج على كتمان السر في السيرة النبوية:

أرسلت سرية بقيادة عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة بين مكة والطائف وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر ما فيه حتى يسير يومين، ولما فتحه بعد اليومين وجد فيه تعيين الجهة التي أرسل إليها، والمهمة التي وكلت إليه فالجهة هي نخلة، والمهمة هي التربص بقريش ومعرفة أخبارهم، وكان ذلك في شهر رجب في



السنة الثانية من الهجرة.

ومن ذلك أيضا تبديد إشاعة موت القائد، أو إخفاء موته وقت المعركة حتى لا ينهزم الجند، أو يطمع فيهم العدو، ومن ذلك ما كان في معركة أحد حين أشيع أن محمدا ﷺ قد قتل، فألقى بعض المسلمين السلاح، ومر بهم أنس بن النضر رضي الله عنه فصرخ فيهم ما جلوسكم؟ قالوا: إن محمدا قد قتل، فقال: وما قيمة الحياة بعد محمد قوموا فموتوا على ما مات عليه، وقد حدث أن النعمان بن مقرن قائد معركة نهاوند قد مات في أثناء المعركة فأخفوا موته حتى انتصروا.

١١) مواجهة الإرجاف والمرجفين وعدم اصطحابهم إلى الجبهة:

لا شك ولا ريب في حرمة الإرجاف لما فيه من الإضرار بالمسلمين وتثيبتهم عن الجهاد والقتال، وإشاعة الخوف والاضطراب في قلوبهم مما يؤدي إلى ضعفهم أمام أعدائهم، وهذا من أكبر الكبائر، بل قد يساوي الكفر والنفاق، وقد شدد القرآن الكريم في لعن المرجفين وأمر نبيه ﷺ بنفيهم ومقاتلتهم، قال تعالى:

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾



مَّعُونِينَ^ط أَيِنَّمَا يُفِقُوا أَخْذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا ﴿الأحزاب: ٦٠-٦١﴾.
وقد نزلت في قوم منافقين كانوا في المدينة يرجفون برسول الله ﷺ
إذا خرج في بعض غزواته يقولون: قُتل وأسر، فيغتم المسلمون
لذلك فأنزل الله فيهم هذه الآية.

ولما قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد رضي الله عنه: يوم
اليرموك: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد: ويلك،
أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد
الرجال، والله لوددت أن (فرسي) الأشقر برأ من توجعه، وأنهم
أضعفوا في العدد - وكان فرسه قد حفي واشتكى في مجيئه من
العراق^(١)، بهذه الكلمات الواثقة أسكت خالد ذلك المرجف! فما
ينبغي سماع كلمات المرجفين ولا أن نسكت عليها؟ لئلا تنتشر
فتهيئ الناس للهزيمة، وقد نهى الرسول عن الكلمات المثبطة فقال:
(إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم) قال أبو إسحاق: لا
أدري، أهلكهم بالنصب، أو أهلكهم بالرفع^(١)، ومعنى قراءة
النصب أي: تسبب بهلاكهم؟ بكلماته التي مهدت نفسياً لهلاك
الناس، ومعنى الكلمة بالرفع: أي: هو أشدهم هلاكاً بانهزاميته، أو

(١) البداية والنهاية، ط دار الفكر (٧/٩).

(٢) صحيح مسلم (ص: ٦٦٧) رقم: (٢٦٢٣).



أن الله سيعاقبه ويهلكه بهذه الكلمة.

وأما حكم الإرجاف في غير حالة الحرب فأيضاً يكون محرماً إذا انطبق عليه عنوان محرّم كالفتنة والشقاق بين المؤمنين أو تضعيف حكم الدولة، بل يكون محرماً كلّما كان كذباً وباطلاً وإن لم يستلزم ضرراً على المجتمع أو الدولة.

خروج المرجف للجهاد:

لا يجوز للقائد أن يُخرج معه مرجفاً للجهاد لأنّ في خروجه ضرراً على المسلمين، وكذا لو كان القائد هو أحد المرجفين لا يخرج الناس معه؛ لأنّ التابع يمنع من الجهاد فالمتبوع أولى، لأنّه أكثر ضرراً، وكذلك عدم استحقاق المرجف من الغنيمة والنفل.

مكافحة الإرجاف:

يجب مكافحة الإرجاف والقضاء عليه في حالة قيام الحرب مع الأعداء، وإذا بلغ مرتبة إيجاد الفتنة والنفاق بين الامّة أو الوقوف بوجه القيادة الشرعية فعقوبته القتل والنفي؛ لأنّه نوع من البغي والمحاربة واضعاف للحكومة.

(١٢) عدم الإنصراف من المعسكر أو الجبهة إلا باذن:

عدم الانصراف من المعسكر أو الجبهة لقضاء حاجة أو شراء

شيء إلا بعد استئذان القائد أو المسؤول، فقد يكون في خروج الجندي من المعسكر بدون إذن ضياع ثغر، فقد يحتاجه القائد لقضاء مهمة أو يستنفره لأمر مهم فلا يجده! وقد مدح الله المؤمنين على عدم خروجهم بغير استئذان الرسول ﷺ فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ [النور: ٦٢] وعاب الله تعالى الذين يخرجون بدون استئذان، فقال ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَذًا فَيُحَذِّرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣].

١٣) المبادرة في عرض الخدمات على القادة:

تقديم ما تراه مفيداً إلى ولاة الأمر والقادة والمسؤولين؟ حتى لو لم يطلب منك ذلك! فقد تستقل فكرتك أو عملك ويكون فيه خير كثير فـ (نعيم بن مسعود) رضي الله عنه هو الذي عرض خدماته على الرسول ﷺ يوم الخندق فقال يا رسول الله، مرني.. فقال ﷺ: ما تصنع؟! إنما أنت رجل! ولكن خذل عنا ما استطعت فإن الحرب



خدعة..^(١)، وصفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها رأت في طواف اليهودي يوم الخندق حول الحصن خطرا عليهن فشدت ثيابها عليها ثم أخذت عمودا وضربت به اليهودي حتى قتله وخلصت النساء من شره^(٢)! وهذا القعقاع بن عمرو رضي الله عنه لما رأى بعض فرسان الفرس يتهيؤون للغدر بخالد أثناء المباراة حمل القعقاع بن عمرو فأزاحهم، وانهمز أهل فارس وركبهم المسلمون^(٣)..

وهذا عدي بن حاتم الطائي فكر كيف يستطيع دعم الخلافة يوم الردة - فجمع صدقة قومه وتوجه بها إلى المدينة لدعم مركز الخلافة اقتصاديا!^(٤) فكان نعم العون!

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (١/١٤٧).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (٣/٢٠٩).

(٣) الكامل في التاريخ (٢/٢٣٥).

(٤) انظر: مغازي الواقدي، كتاب الردة (١/٦٦).



١٤) تنشيط المقاتلين بالأناشيد:

ومن آداب القتال مشاركة القائد جيشه في العمل والإعداد لقتال العدو والترويح عنهم، بترديد بعض الأناشيد الإسلامية المشجعة مع رفع الصوت بذلك، لما فيه من جلب النشاط والتشجيع على العمل والتهييج على العدو، وما ورد من كراهة رفع الصوت عند القتال لا ينافي رفع الصوت عند الإعداد. ففي حديث البراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الخندق، وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلاً كثيراً الشعر وهو يرتجز برجز عبد الله:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلنا سكينتنا علينا وثبت الأقدام أن لاقينا
أن العدا قد بَعَوْا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا
يرفع بها صوته الحديث في صحيح البخاري.

١٥) عدم قتل غير المقاتلين:

الإسلام دين الرحمة والعدل، وهو يعم بهما - أي بالرحمة والعدل - كل الناس في حالة السلم، وفي حالة الحرب، إلا من حارب الرحمة والعدل فإن من العدل - حينئذ - في حقه أن ينال



جزاءه من القتل والحزني والعذاب كما قال تعالى: ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ
 قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ
 بَدَءُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَأَلَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَتَلْتَهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ
 وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُدْهَبُ غِيْظُ
 قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿التوبة: ١٣-١٥﴾
 أما الكافر الذي لا يقاتل المسلمين، كالنساء والأطفال ونحوهم
 فإن قتلهم يعتبر ظلماً واعتداء لا يرضاه الله، وقد ورد بذلك الكتاب
 والسنة، وطبقه المسلمون في حروبهم

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠] وقد اختلف
 العلماء في المعنى المراد بقوله: (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) فرأى بعضهم أن
 معنى ذلك أن يكف المسلمون عن قتال من لم يقاتلهم من الكفار
 أي لا يقاتلون إلا من بدأهم بالقتال^(١).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٧/٢).



١٦) الحذر من جواسيس العدو:

يجب على المجاهدين أن يحذروا غاية الحذر من تسلل جواسيس العدو إلى صفوفهم، لما في ذلك من كشف عوراتهم التي يترتب عليها إعداد العدو عدته على ضوئها، فإذا بدا لهم اشتباه في بعض الأفراد ممن هو في صفهم ويتسبب إليهم - أي إلى المسلمين - أو من غيرهم فالواجب متابعته والحول بينه وبين نقل المعلومات العسكرية الإسلامية إلى العدو.

إعداد العيون الساهرة لجمع المعلومات عن الأعداء

وإذا كان يجب على المجاهدين في سبيل الله أن يحذروا من جواسيس العدو، ويقطعوا عليهم كل طريق إلى أخذ المعلومات العسكرية، فإن عليهم أن يعدوا الرجال القادرين على جمع معلومات العدو بطرق خفية لا يقدر على كشفها، اقتداء برسول الله ﷺ، الذي كان يبعث عيوناً في العدو لأخذ أدق المعلومات والأسرار.

١٧) العناية بجرحى المسلمين وموتاهم أثناء المعركة:

ولا بد للمجاهدين من اصطحاب فرق كافية لخدمة المقاتلين لطهي الطعام ونقل الماء، ومداواة الجرحى، ونقلهم من المكان



الذي يخشى عليهم فيه من إجهاز العدو عليهم، إلى مكان لا يخشى عليهم منهم فيه، ونقل الموتى كذلك حتى لا يمثل بهم العدو.

ويستعمل في هذه الأمور من لا يجب عليه القتال، فقد كان النساء يقمن بهذه الأعمال في عهد رسول الله ﷺ ففي حديث أنس رضي الله عنه، قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة رضي الله عنه بين يدي النبي ﷺ محبوب عليه بحجفة له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً، شديد القدّ، يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة، فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك - قال - ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم، وأنها المشتمرتان، أرى خدام سوقهما تنقران القرب على متونها، تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً^(١).

(١) البخاري ومسلم (٣/١٤٤٣).



ثالثاً:

أخلاق وأداب القتال بعد انتهاء المعركة

(١) إظهار التجلّد للعدو ولو أحرز انتصاراً على المجاهدين المسلمين:

المسلم عزيز على عدوه الكافر في كل وقت من الأوقات، حتى ولو بدا ذلك العدو متصصراً في بعض الأحيان، فإن عاقبته الذلة والمهانة، لأنه من أولياء الطاغوت والمسلم من أولياء الله، والله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يَفَنِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقِنِّلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَفَنِّلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

والكافر يألم كما يألم المؤمن، ولكن ألم المؤمن يخف، لأنه يرجو من ربه النصر في الدنيا والثواب في الآخرة، ولذلك لا ينبغي للمؤمن أن يظهر الضعف لعدوه، بل عليه أن يتجلّد ويريه من نفسه القوة: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤] ولقد نهى الله عباده المؤمنين عن



الاستسلام وإظهار الضعف والحزن، وذكّرهم بأنهم هم الأعلون على عدوهم، حتى في حالة نيله منهم وانتصاره عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] قال ابن جرير رحمته: وهذا من الله تعالى تعزية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد، قال ولا تهنوا ولا تحزنوا يا أصحاب محمد، يعني ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحد، من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحرهم... ولا تحزنوا ولا تأسوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ، فإنكم أنتم الأعلون، يعني الظاهرون عليهم، ولكم العقبي في الظفر والنصرة إن كنتم مؤمنين^(١).

٢) شكر الله وحمده عند احراز الانتصارات واستشعار فضله وعونه.

ليعلم الجميع أن الفضل في النصر على المعتدين الحوثيين إنما هو لله تعالى وحده لا شريك له ، فله الفضل كله وله النعمة كلها وله الحمد كله أوله وآخره وسره وعلايته، وظاهره وباطنه ، فعلى المجاهدين جميعاً أن يلهجوا بحمد الله تعالى وشكره على حسن

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٠٢/٤).

عنايته بهم ونصره لهم ، فلا بد من التنبيه على ذلك لأن البعض في غمرة النصر وفرحة قمع المعتدي قد يغفل عن الشكر والحمد لله تعالى ، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ

لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ [إبراهيم: ٧] وقال

تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ

إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [الأنفال: ١٠] وقال

تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعَجَبْتُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمَّ تُعِنْ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ

عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا

وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ [التوبة: ٢٥ -

٢٦] فلا بد من حمد الله تعالى ، ولا بد من الإكثار من شكره ، حتى

نبقى دائما وأبدا في نصر وعزة وتمكين .

وفي قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ



لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران: ١٢٣] يذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين انه هو الذي نصرهم. وهم لا ناصر لهم من أنفسهم ولا من سواهم الا الله، فإذا اتقوا وخافوا فليتقوا وليخافوا الله، لأنه وحده الذي يملك النصر والهزيمة؛ والذي يملك القوة وحده والسلطان، فعمل التقوى أن تقودهم إلى الشكر؛ وأن تجعله شكراً وافياً لاثقاً بنعمة النصر على اعداء الله.

٣) بعض آداب القتال العامة:

سبق الكلام على بعض آداب الجهاد قبل المعركة -غالباً- وفي أثنائها، وبعدها.

وهذه بعض الآداب التي لا وقت لها، إذ يجوز أن تكون قبل الحرب، ويجوز أن تكون أثناءها، ويجوز أن تكون بعدها.

٤) عدم قتل الرسل:

وهذا الأدب السماوي العظيم جاء في السنة النبوية قولاً وفعلاً، وطبقه بعد الرسول ﷺ أصحابه في كل البلدان التي جاهدوا فيها لرفع راية الإسلام.

كما في حديث نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ كتاب مسيلمة الكذاب، قال للرسولين: «فما تقولان أنتما؟» قالوا نقول كما قال، فقال ﷺ: «لولا أن الرسل

لا تقتل لضربت أعناقكما»^(١). وقال في عون المعبود: «فيه دليل على تحريم قتل الرسل الواصلين من الكفار، وإن تكلموا بكلمة الكفر في حضرة الإمام، والحديث سكت عليه المنذري»^(٢). قال ابن قدامة: «ويجوز عقد الأمان للرسول، لأن النبي ﷺ كان يؤمن رسل المشركين، ولما جاء رسول مسيلمة قال لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما، ولأن الحاجة تدعو إلى ذلك، فإننا لو قتلنا رسلهم لقتلوا رسلنا، فتفوت مصلحة المراسلة»^(٣).

وكان ﷺ يشتد غيظه إذا قتل الأعداء أحد رسله، فقد بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتله... فاشتد ذلك عليه، وكان ذلك هو السبب في غزوة مؤتة^(٤).

٥) تأمين من طلب من المحاربين تسليم نفسه والكف عن القتال

(١) أحمد في المسند (٤٨٧/٣)، أبو داود (١٩١/٣) رقم الحديث: (٢٧٦١)، وأنظر نيل الأوطار (٣٤/٨).

(٢) عون المعبود (٤٤٢/٧)، وأنظر قصة رسول قيصر إلى رسول ﷺ، وهو في تبوك في البداية والنهاية (١٥/٥).

(١) المغني (٢٤٤/٩).

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٨/٢) وفتح الباري (٥١١/٧).



وإذا طلب بعض المحاربين المعتدين تسليم نفسه والقاء السلاح فيجب تأمينه، فمن استسلم من العدو يؤمن ولا يُقتل، إذا تحقق أنه لن يصول من جديد، بل ويجب أن يفقه ويوضح له خطورة المعتقد الذي يدافع عنه ويقاوم في سبيله.

كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦] قال ابن قدامة رحمته: «ومن طلب الأمان ليسمع كلام الله ويعرف شرائع الإسلام، وجب أن يعطاه، ثم يرد إلى مأمنه، لا نعلم في هذا خلافاً، وبه قال قتادة ومكحول والأوزاعي والشافعي، وكتب عمر بن عبد العزيز بذلك إلى الناس، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦].»

ولكن يجب على المسلمين الحذر من أن يكون إنما فعل ذلك ليتجسس عليهم، فيجب أن لا يمكن من معرفة شيء من أسرارهم التي لو اطلع عليها العدو لاستفاد منها»^(٢).



رابعاً:

واجبنا نحو أسر الشهداء والجرحى والمعاقين

١) رعاية أسر الشهداء:

واجبنا تجاه أبناء الشهداء هؤلاء أبناء من بذلوا أرواحهم ودمائهم في سبيل خلاصنا هم وصية ربنا ونبينا ﷺ.

هؤلاء أبناؤنا وفلذات أكبادنا يحتاجون للحب والحنان والاهتمام والرعاية الخاصة لإعدادهم اجتماعياً ونفسياً وتعليمياً وتربوياً ولجعلهم قادرين على متابعة مسيرة الحياة، فالمعركة الوطنية تكتمل وتصبح أجمل بالاهتمام بأبناء الشهداء والأيتام وحل مشاكلهم ومساعدتهم وكفالتهم والاهتمام برتبتهم ودراستهم وتأهيلهم وتنمية مواهبهم وقدراتهم والاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة وإنشاء مشاريع اقتصادية تعود ريعها للأيتام.

واجبنا نحو أسر الشهداء يتلخص فيما يلي -

أولاً: العمل على توفير الحياة الكريمة لأسر الشهداء: وذلك بتفقد أحوالهم وقضاء حوائجهم وتعويضهم عما فقدوه من الرعاية



والكفالة؛ ولنا الأسوة في سلفنا الصالح عليه السلام. فعن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب عليه السلام إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغارا، والله ما ينجون كراعًا، ولا لهم زرعٌ ولا ضرعٌ، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم. فوقف معها عمر ولم يَمْضِ، ثم قال: مرحبًا بنسب قريب، ثم أنصرف إلى بعيرٍ ظهيرٍ كان مربوطًا في الدار، فحمل عليه غرارتين ملاًهما طعامًا، وحمل بينهما نفقةً وثيابًا، ثم ناوها بخطامه، ثم قال: اقتديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها؟ قال عمر: تكلفتك أمك، والله إنني لأرى أبا هذه وأحاهها، قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سُهْمَانَهُمَا فِيهِ (البخاري).

وبهذا ضرب لنا أمير المؤمنين عمر عليه السلام أروع الأمثلة في القيام بحق أسر الشهداء وتفقد أحوالهم.

ثانياً: تعويضهم فقدان الأب: وذلك بإظهار البشاشة لهم؛

وقضاء بعض الأوقات معهم؛ وهذا هو هدي نبينا صلى الله عليه وسلم؛ مع آل جعفر بن أبي طالب؛ لما بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم قائداً في معركة «مؤتة»،

ونال الشهادة بعد أن قطعت ذراعيه، وترك جعفر أولاده صغاراً، فتولى أمرهم الرسول ﷺ، وكان كفيلهم بعد وفاة أبيهم.

وقد روي أن النبي ﷺ لما نعى لأسماء زوجها جعفرًا، مسح على رأس عبد الله بن جعفر، وعيناه تهرقان الدموع حتى لحيته تقطر، ثم قال: اللهم إن جعفرًا قد قدم إلي أحسن الثواب، فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته! ثم قال: يا أسماء، ألا أبشرك؟ قالت: بأبي أنت وأمي! قال: فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة، قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فأعلم الناس ذلك؛ فقام ﷺ وأخذ بيد عبد الله بن جعفر، يمسح بيديه رأس عبد الله حتى رقي المنبر، وأجلس عبد الله أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يعرف عليه، فتكلم وقال: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه. ألا إن جعفرًا قد استشهد، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة، ثم نزل، ودخل بيته وأمر بطعام يصنع لآل جعفر، وأرسل إلى أخي عبد الله بن جعفر فتغديا؛ وأقاما ثلاثة أيام في بيته، يدوران معه في بيوت نساءه. (إمتاع الأسماع - للمقرئ).



ثالثاً: الوفاء ورد الجميل: فقد ضرب النبي ﷺ في الوفاء من المثال أجملهُ، ومن النصيب أكملهُ، ومن ردّ الجميل أحسنهُ وأعدله؛ ودلائل وفاء محمد ﷺ لا تعد ولا تحصى؛ فعن عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال: لها رسول الله ﷺ: «من أنت؟» قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيوان». (الحاكم وصححه ووافقه الذهبي). قال النووي «في هذا كله دليلٌ لحُسن العهد وحفظ الوُدِّ، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته وبعد وفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب».

فإذا كانت الشهادة قد فاتتنا؛ فإنه ينبغي علينا أن نقوم بحق أسر الشهداء ورعايتهم: وهذا يعد كأجر الشهادة في سبيل الله؛ فعن زيد بن خالد الجهني؛ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ جَهَرَ عَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ عَزَا؛ وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ عَزَا». (متفق عليه). فأنت بكفالتك لأسرة شهيد يكون لك من الأجر



مثل ما لذلك الشهيد؛ وهذا فضل عظيم من الله أن يجعل لنا باباً
لنيل أجر الشهداء؛ حتى وإن منعنا عن الشهادة واللحاق بالجبهات
مانع؛ فلا يفوتنا أجر الشهداء.

٢) رعاية الجرحى والمعاقين:

يمثل الجرحى والمعوقين نتيجة الحرب الضلع الثالث من مثلث
التضحية والفداء بعد الشهداء والأسرى ولذلك فإن الله تعالى
سوف يؤتيهم أجرهم مرتين، مرة على جهادهم، ومرة على صبرهم
وتحملهم لما نالهم من الأذى في سبيله، ولكن ما أعظم واجبنا
تجاههم في رعايتهم والعناية بهم وتخفيف آلامهم والاستجابة
لمطالبهم العادلة والمشروعة، كونها مطالب تنسجم ومكانة هؤلاء
الأبطال الذين يحملون على أجسادهم نياشين وأوسمة البطولة
والجهاد، وتأمين الحياة الكريمة لهم بما يحفظ مكانتهم فهم لم ييخلوا
يوماً في تلبية نداء الواجب فكانوا في الطليعة وفي الصفوف المتقدمة
دفاعاً عن الدين الأرض والعرض والشعب.

ومن مظاهر عناية الإسلام بفتة الجرحى وذوي الإعاقة الحث
على القيام بشؤونهم وقضاياهم على أكمل وجه، فكثير من
الأحاديث تحث على معاونة الضعيف أو المعاق ومن هذه الأحاديث



ما جاء عن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: (رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَنْصُرُونَ وَتُرْزُقُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ»^(١). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لا يرحم لا يرحم»^(٢).

والعناية بالجرحى والمعوقين نتيجة الحرب يعتبر من اقوى صور الوفاء وقد كان الوفاء من أبرز أخلاق أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكيف لا يكونوا كذلك والله تعالى يقول: (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) ورسول الله يقول: «حسن العهد من الإيمان»؟!!

وقد كان من شأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يزور أسير الشهداء والجرحى والمرضى، يواسيهم ويسعى في حاجاتهم ويأمر بذلك.

٣) رعاية الأسرى والمختطفين:

واجباتنا نحو هؤلاء الأبطال الذين تحلوا بالشجاعة والإقدام في المعارك وثبتوا على الحق كثيرة نذكر منها:

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، برقم: (٢٨٩٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الجمعة في القرى والمدن، (٥/٢)، برقم: (٨٩٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (١٤٥٩/٣)، برقم: (١٨٢٩).

فكّك الأسرى من أسرهم بشتى الوسائل والسبل المشروعة واجب شرعي، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فكوا العاني وأطعموا الجائع، وعودوا المريض»^(١)، والعاني هو الأسير. يقول ابن تيمية رحمته الله: (فكّك الأسارى من أعظم الواجبات، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات)، قال سلطان العلماء الإمام العزّ بن عبد السلام رحمته الله: «وإنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار من أفضل القربات، وقد قال بعض العلماء: إذا أسروا مسلماً واحداً وجب علينا أن نواظب على قتالهم حتى نخلصه أو نبيدهم، فما الظن إذا أسروا خلقاً كثيراً من المسلمين».

قال الإمام القرطبي رحمته الله: «فداء الأسرى واجب وإن لم يبق درهم واحد. وقال ابن خويز منداد: وردت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فكّ الأسرى وأمر بفكّكهم وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع»^(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لأنّ أسْتَنْقَدَ رَجُلًا مَنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»^(٣).

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) القرطبي رحمه الله (٢٦/٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف.



وعن أبي جَحِيْفَة قال: «قلت لعلي عليه السلام هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فيها يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة؟ قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»^(١).

استشعار ما هم فيه من شدة وبلاء، ولا أدل على ذلك من حالة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يستشعر آلام الأسرى والسجناء بقوله: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِي»، أي أجاب داعي الملك لما أرسله إلى يوسف ليخرج لمقابلة الملك، فلم يجب الداعي حتى يتبين الجميع من براءته، ويظهر للناس نزاهته وعفته، فبيننا يبين لو أنه لبث ما لبث يوسف لأجاب الداعي، ولعجل بالخروج من السجن، كل ذلك لعظم أمر السجن، وشدة قهره، وبلائه.

الترهيب من الرضا بإذلال المسلمين يروي الإمام أحمد بسند حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: «من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة»^(٢).

(١) أخرجه البخاري.

(٢) الإمام أحمد في مسنده (١٥٩٨٥) والطبراني في المعجم الكبير (٥٥٥٤) والإمام

البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٣٣).



وإن من أعظم واجباتنا تجاه أسيرانا أن نواسيهم بعوض الله تعالى لهم عن كل لحظة قهر أمضوها في سجون المجرمين، فقد بشر الله تعالى بالعوض والخلاص للأسرى الفاجرين إن هم تابوا وأنابوا فكيف الحال بالنسبة للمؤمنين الموحدين؟ قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾

[الأنفال: ٧٠].

سداد حاجة أهل الأسير وتكريمهم وكفالة أسرهم وأبنائهم قال ﷺ: «من خلف غازياً في سبيل الله فقد غزا»^(١).

متابعة قضايا الأسرى بشكل فردي وجماعي وبشكل دائم ومستمر.

الدعاء المستمر للأسرى بالفرج، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قال سمع الله لمن حمده في الركعة الآخرة من صلاة العشاء قنت: «اللهم أنج عيَّاش بن أبي ربيعة، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج المستضعفين من

(١) رواه البخاري.



المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» (رواه البخاري).

التضامن مع نشاطاتهم كالإضراب وغيره.

تسجيل وأرشفة وتداول تجاربهم.

كما ينبغي أن نعلم بأن دعوة الأسير مستجابة أليس هو الذي يعيش في سجون المعتصبين والطواغيت الذين أبدووا في أساليب التعذيب والتنكيل والاعتصاب، فهو مظلوم والله ناصره، ودعوته تصل للسماء كأنها شرارة فليس عليها حجاب، ففي صحيح الجامع قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين».

كما ينبغي أن نعلم وأن نذكر شرف الأسرى وأنهم كالمجاهدين المرابطين، وأنهم موقوفون على أمر الله تعالى، فأجر الأسير لا يعلمه إلا الله، ولا يقل عن أجر المجاهد المرابط في سبيل الله، ومن هنا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا -يعني بلالاً رضي الله عنه -»، بالإشارة إلى شرف الأسير وشرف منزلة من يسعى لإعتاقه وتحريره.



كما أن من واجبنا أن نعلم بأن الأسر مصنع الرجال، فأغلب القادة والعلماء الذين نهضت بهم الأمة، هم خريجون من سجون الطواغيت والكفار، لما في الأسر من فضل كبير تنبني عليه شخصية القائد والإمام، فلا يشغله شيء عن ذكر الله كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: حبسي خلوة، وقتلي شهادة، ونفيي سياحة، وهذا كله في باب مواساة الأسير وأهله، وإلا فإن السجن مؤلم وموجع، وإن كان لك أن تتخيل حالك وأنت مسافر بعيد عن أهلك وإن كنت في السفر قريب من البشر كلهم، إلا أن غيابك عن أهلك يُتعبك، فكيف هو حال الأسير في العزل الإنفرادي أو حتى في السجون المشتركة، ياله من شعور شديد على النفس لمن يتخيله فكيف بمن يجربُه.



الفصل الثالث:

أخلاق وأداب رجل الأمن

تعتبر المهام الامنية التي تقوم بها اجهزة الامن المختلفة في ارض الرباط جزء لا يتجزأ من الجهاد في سبيل الله إذا استحضرت النية، ولهذا فإنه يجدر بالقائمين على هذا العمل العظيم أن يتحلوا بالأخلاق والآداب التي حث عليها ديننا الحنيف، نذكر بعضها منها:

١) الإخلاص لله تعالى:

العمل الامني عبادة من العبادات وجهاد في سبيل الله في مواطن الرباط وهو كسائر العبادات لا يثاب عليه المرء إلا بإخلاص نيته لله تعالى.

والإخلاص، معناه تصفية العمل من شوائب الشرك كبيره وصغيره، وهو مطلوب من المسلم في كل أعماله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]



وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾

[الكهف: ١١٠].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٢).

والإخلاص هنا يعني أن يريد رجل الأمن بعمله في هذا المجال وجه الله وحده، ولا يريد غرضاً سواه من سمعة، أو جاه، أو وجاهة، أو مال، ونحو ذلك.

(١) مسلم (٢٢٨٩/٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري رقم: (٥٣)، فتح الباري (١/١٣٥)، ومسلم (٣/١٥١٥).



فإذا أخلص رجل الأمن في عمله لله تعالى، وتقرب إلى الله به كان من العبادات التي تقربه إلى الله فينال محبته، جاء في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»^(١)، ومن احبه الله جعل له القبول عند الناس، قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله تعالى يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل فينادي أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٢)

وقبول رجل الأمن عند الناس له أثره الكبير في إزالة الصورة الذهنية السيئة عن رجال الأمن، ويلتف الناس حول رجال الأمن، ويكونون لهم عوناً، وسندا في أداء مهمتهم.

٢) الرفق واللين وحسن التعامل

- (١) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، باب التواضع حديث رقم (٥/٦٠٢) .
- (٢) أخرجه مسلم، في كتاب البر باب إذا أحب الله عبدا حبه إلى عباده حديث رقم (٢٠٣٠) و (٢٦٣٧)، والبخاري في كتاب الأدب، رقم (٤١)

لابد لرجل الأمن أن يتصف بالرفق ولين القول وطلاقة الوجه والابتعاد عن الفضاضة والغلظة، والرفق وهو اللطف ولين الجانب، ورجل الأمن حين يرفق في عمله يكون عوناً للمواطنين على التعاون معه في أداء مهمته.

وقد حث الرسول ﷺ على اللين والرفق بقوله: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(١). (زانه) أي زيّنه، (في شيء) فيه مبالغة أي لو قدر أن يكون العنف أو الرفق في جماد لزانه أو شانته فكيف بالإنسان.

ونصح سيدنا النبي ﷺ أمنا عائشة رضي الله عنها بقوله: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(٢) ومعنى (يعطي على الرفق) أي يثيب عليه مالا يثيب على غيره، أو يتأتى به من الأغراض ويسهل من المطالب مالا يتأتى بغيره.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.



ثم بين نبينا ﷺ فضل الرفق بقوله: «مَنْ حُرِمَ الرَّفْقَ، حُرِمَ الْخَيْرَ
أَوْ مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ»^(١) يعني أن الرفق سبب كل خير
وبركة.

وقد يظن فريق البعض أن الغلظة والشدة والغضب والعنف
تعبر عن القوة أو الرجولة وأنها تمنح صاحبها السيطرة على المواقف
المختلفة، وهذا ظن غير صحيح. فالأصل في المعاملة هو الرفق
ولين الجانب واللفظ، مما يألّف القلوب والعقول، قال الله تعالى:
﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فاللطف واللين والرفق تورث المحبة،
والمحبة تثمر الطاعة، وهذا هو المفتاح الذهبي لقلوب الناس جميعا.
مع ملاحظة أن هناك حالات قد تقتضي الحزم والصرامة والقوة
وهي حالات نادره تقدرها القيادات، ولا يقدرها الأفراد.

٣) العدل والمساواة والالتزام بالقانون:

العدل هو الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل وأُنزل الكتب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] والميزان في الآية هو العدل. وقال تعالى أمرًا بالعدل حتى لو كان ضد ما تهوى الأنفس: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَدِّقْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] وقد أمر الله عز وجل بالقسط وهو العدل في الأقوال والأفعال، وحتى مع الأعداء والخصوم والعدو والصديق والقريب - قرابة النسب والرحم - والبعيد، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰى ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٨]

[المائدة: ٨] قال ابن كثير رحمته: كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ أَي: «قَوَّامِينَ بِالْحَقِّ



لله لا لأجل النَّاسِ والسُّمعة، وكونوا شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ أَي: بالعدل لا بالجور»^(١)

و الشنآن: البُغض الشديد، قال ابن كثير رحمته: «لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كُلِّ أَحَدٍ، صديقاً كان أو عدواً»^(٢)، ولهذا قال: اعدلوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وهذا يعني أَنَّ العدل مرتبطٌ بالتَّقوى ارتباطاً قوياً، وَأَنَّ الذي لا يتقي لا يعدل، وَأَنَّ الذي يتقي هو الذي يعدل.

ومن ثمرات العدل: أَنَّهُ يُنْجِي يوم القيامة كما جاء في الحديث الحسن: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المنجيات: فالعدل في حالة الغضب والرِّضا، وخشية الله تعالى في السِّرِّ والعلانية، والقصد في الغنى والفقر»^(٣)، فإذا: العدل ينجو به صاحبه يوم الدين، والعدل الذي ينجو به صاحبه يوم الدين: الذي يكون في جميع الحالات سواءً غَضِبَ الإنسان أو رضى؛ لأنَّ عدداً من النَّاسِ قد يعدلون في الأحوال العادية في حال الرِّضا، لكن في حال الغضب لا يعدلون، وبعض النَّاسِ إذا رضى

(١) تفسير ابن كثير ج(٣/٦٢).

(٢) تفسير ابن كثير: ج(٣/٦٢).

(٣) رواه البيهقي (٦٨٦٥)، وقال الألباني: "حسن لشواهدة" مشكاة المصابيح (٥١٢٢).

عن فلانٍ جارٍ لأجله فلا يعدل، فإذا كان الإنسان عادلاً في حال الرضا وفي حال الغضب استقامت أموره فيمن معه.

وأخبر المصطفى ﷺ بفضل أهل العدل وثوابهم كما أخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو قال ﷺ: «إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

كما أن العدل أساسُ استقرار الدول والشعوب في معاشها وأمانها على أنفسها ومكتسباتها، يقرر ذلك المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته في نص نفيس يقول فيه: «أمر الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام»^(١)

ولا شك بأن العدل يقتضي المساواة وتطبيق القانون في التعامل مع الناس

(١) مجموع الفتاوى، (١٤٦/٢٨).

٤) الصدق:

من أهم الصفات التي يلزم ان يتحلى بها رجل الامن صفة الصدق في القول والعمل وهي صفة أمر بها الإسلام، وهو من أجل الأخلاق وأعظمها، وهو منبع كثير من الفضائل الخلقية؛ وقد أمر الله المؤمنين بالصدق في جميع أحوالهم، فقال جل وعلا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ووعدهم بأجلز المثوبة عليه فقال سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤] وبين لهم أن عاقبته في الدنيا خير، فقال تبارك وتعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١] ونوّه بأثره في الآخرة فقال: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٩]، والصدق هو الخلق البارز الذي اتصف به الرسول ﷺ قبل بعثته حتى لُقّب بالصادق الأمين.

وكان رسول الله ﷺ دائماً ما يحث المسلمين على الصدق في أقوالهم وأفعالهم فيقول: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ

يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ
يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكُذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا». (١)

وكان ﷺ يرفع من قيمة الصدق فيقول: «أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ
أَصْدَقُهُ...». (٢) بل وَيُوجِّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطَابَهُ لِلْمُسْلِمِينَ قَائِلًا لَهُمْ:
«اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ؛ اضْدُقُوا إِذَا
حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ،
وَعُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ». (٣)

والصدق في القول والعمل لازم لنجاح العمل الأمني لكي لا
تبنى الإجراءات، والخطط على أكاذيب وأوهام. ومن هنا تنهض
ضرورة الإستمسك بالصدق في كل معلومة، وكل قضية، ولا
يكون ذلك إلا بالتحري والتمحيص، والمقارنة لإبعاد الظنون،
ونبذ الشائعات، وتثبيت الحقائق فهذه أمور ينتج عنها القرار

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٧)، وأبو داود (٤٩٨٩)، والترمذي (١٩٧١)، وابن ماجه (٣٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٨٤)، وأبو داود (٢٦٩٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٨٠٩)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨٠٦٦)، وقال: هذا
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع (١٠١٨).



السليم، وقد نهى الرسول ﷺ عن الظن فقال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(١)، وقال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»^(٢).

وصدق رجل الأمن فيما يتحرى، وما يقول، وما يكتب من تقارير، وتقواه الله في كل كلمة يقولها، ويكتبها يقود إلى الصدق في القرار، والعدالة في الحكم. وهذا بلا ريب فيه صلاح الأحوال، وصدق الحق عز وجل حين قال: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٧١) [الأحزاب: ٧١] والأصل في الكذب عدم الجواز، ولكن توجد حالات جاء الشرع بجواز الكذب فيها تحقيقاً للمصلحة العظيمة أو دفعاً للمضرة: فمن تلك الحالات أن يتوسط إنسان للإصلاح بين فريقين متخاصمين إذا لم يمكنه أن يصلح إلا بشيء منه لحديث أم كلثوم رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيئمي (أي يبلغ) خيراً أو يقول خيراً»^(٣)

(١) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة باب محرم الظن والتج حديث رقم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه النسائي كتاب الأشربة، باب رقم (٤٨).

(٣) رواه البخاري (٢٤٩٥)

٥) التثبّت وعدم التسرع:

ومن أهم الآداب الاجتماعية التي بينها الإسلام وجوب التبين والتثبّت مما يبلغ الإنسان من الأخبار والأقوال؛ فقد جرت العادة لدى كثير من الناس على المبادرة إلى تصديق كل خبر والتسرع في التصرف وفقاً لكل نبأ، دون البحث في مصدره، أو التحقق من ثبوته، أو التفكير في مضمونه، غافلين عن مسؤوليتهم في ذلك، وقد قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [٣٦] [الإسراء: ٣٦]

فالأخبار التي نتلقاها بأسماعنا ونقلها بألسنتنا أمانة ومسؤولية، يجب التثبّت والتبيّن من صحتها أو كذبها حين التلقّي أو النقل، ومن الواجب شرعاً وعقلاً أن نضبط ألسنتنا فلا نروّج لأخبارٍ تناهت إلى مسامعنا مهما كانت حقيقية حتى نتأكد من صحتها، وفي ذلك جاء التحذير الرباني: ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦]



قال ابن كثير رحمته الله: في تفسير هذه الآية «يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال» (١)

وقال الشوكاني رحمته الله في تفسيره لهذه الآية: «قرأ الجمهور: فَتَبَيَّنُوا مِنَ التَّبَيَّنِ، وَقَرَأَ حَمَزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ: «فَتَبَيَّنُوا» مِنَ التَّبَيَّنِ، وَالْمُرَادُ مِنَ التَّبَيَّنِ التَّعَرُّفُ وَالتَّفْحُصُ، وَمِنَ التَّبَيَّنِ: الْأَنَاءَةُ وَعَدَمُ الْعَجَلَةِ، وَالتَّبَصُّرُ فِي الْأَمْرِ الْوَاقِعِ، وَالخَبْرُ الْوَارِدِ حَتَّى يَتَّضِحَ وَيَظْهَرَ» (٢)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ [النور: ١٦] فأى إتهام لا يستند لدليل مادي واضح ولا يقبل التأويل فهو باطل ولا يُعتد به شرعا.

والتثبت دليل على رجاحة العقل وسلامة التفكير، أما العجلة فدليل على نقص في العقل وخلل في التفكير، فعن أنس بن مالك رحمته الله أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «التَّانِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» (٣)

(١) مختصر تفسير ابن كثير، للشيخ محمد علي الصابوني، شركة الشهاب، الجزائر، ١٩٩٠، (ص ٣٦٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني، الجزء (٥ : صفحة ٧١)

(٣) أخرجه البيهقي وحسنه الألباني.

(التأني من الله) أي التثبت في الأمور مما يحبه الله ويأمر به، لما فيه من وقاية للعبد من الزلل والخطأ. (والعجلة من الشيطان) أي من إغوائه ووساوسه. قال ابن القيم رحمته: (إنما كانت العجلة من الشيطان لأنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب وضع الشيء في غير محله، وتجلب الشرور وتمنع الخيور، وهي متولدة بين خلقين مذمومين: التفريط والاستعجال قبل الوقت).^(١)

عن ابن عباس رضي قال: قال رسول الله صلى للأشج - أشج عبد القيس - : (إنَّ فيكَ خصلتين يحبُّهما الله: العِلم، والأناة)^(٢).
وعن سعد بن أبي وقاص رضي أنه قال: قال رسول الله صلى:
«التَّؤدَّة في كلِّ شيءٍ خيرٌ إلَّا في عمل الآخرة»^(٣).

وبسبب التسرع والعجلة وعدم التثبت يقع رجال الأمن وغيرهم في كثير من الظلم والجور مما يسبب لهم كثيراً من الحرج والندم، حين يطلعون على أن الخبر مزيد فيه ومبالغ، أو ملفق ومزور، أو مغير ومبدل، فيندمون حيث لا ينفع الندم، ويعتذرون

(١) كتاب الروح ص(٢٥٨)

(٢) رواه مسلم.

(٣) صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.



حين لا يجدي الاعتذار، إذ يكونوا قد وقعوا وأوقعوا الآخرين في أضرار وأزمات، وربما سببوا لهم مآسي وكوارث يبقى أثرها زمناً طويلاً.

تزداد أهمية التثبت، وتعظم الحاجة إليه في زمن وقوع الفتن، واضطراب الأحوال، واختلاط الحق بالباطل، والصدق بالكذب، لما يستدعيه زمن الفتن والشور من كثرة الكذب والافتراء.

٦) حماية الأرواح والأعراض والممتلكات:

من المهام الأساسية لرجل الأمن حماية المواطنين وممتلكاتهم وأعراضهم وعدم التعدي عليها بأي صورة من الصور، وقد شدد الإسلام على حرمة التعدي على أموال الناس وأكلها بغير حق، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبِطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [النساء: ٢٩] وقال رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى

أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا»^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»^(٢).

وتحتل قضية المحافظة على الارواح وصيانتها أهمية قصوى في مهام وأخلاق رجل الأمن، إن من أعظم الموبقات، وأكبر الكبائر، أن يتجرأ إنسان فيقتل نفسا معصومة لا يحل قتلها قال تعالى:

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؕ أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ وَكَانَ اللّٰهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝٣٩﴾ [النساء: ٣٩] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلَهًا آخَرَ ؕ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ؕ وَلَا يَزْنُونَ ؕ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ [النساء: ٦٨] يَضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩] إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ [النساء: ٧٠]

[الفرقان: ٦٨-٧٠] وعن أبي بكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم النحر بمنى في حجة الوداع: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ

(١) محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، سيرة النبي / سيرة ابن هشام، هذا محمد بن عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ)، القاهرة، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج ٤، ص (١٠٢٤).

(٢) ابن ماجه، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، حديث رقم (٣١٧٧) (صحيح).



وأعراضكم حرامٌ عليكم كحُرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت» ^(١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما.» ^(٢) وعن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» ^(٣)

وهذا يبين عظيم قدر الدماء عند الله عز وجل، وأنها في المنزلة على هذا النحو أن تزول الدنيا بكل ما فيها من أمكنة معظمة، ومن خلق خلقه الله تعالى عليها أهون عنده جل وعلا من أن يسفك دم امرئ مسلم.

وحتى مجرد الترويع حرمة الاسلام قال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما» ^(٤)، ومن ذلك إشهار السلاح في وجه مسلم تعتبر جريمة شنعاء تخرج صاحبها عن هدي محمد ﷺ فعن ابن عمر: أن

(١) متفقٌ عليه.

(٢) صحيح البخاري ، (حديث رقم: ٦٨٦٢)

(٣) سنن الترمذي ، (حديث رقم: ١٣٩٥)

(٤) صحيح ابي داوود للالباني (٥٠٠٤).



النبي ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا»^(١)، أما إذا اقتضت المهمة الأمنية اشهار السلاح في وجه المضبوطين فإن الحكم يختلف ولكن بموجب قرار من القيادات الأمنية حسب تقدير الموقف .

ومن واجبات رجل الأمن الحفاظ على ممتلكات المواطنين والمضبوطين والموقوفين وعدم استباحتها او التصرف فيها بغير حق، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النساء: ٢٩] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعَرَضُهُ وَمَالُهُ»^(٢)

فمن أوجب الواجبات على رجل الامن صيانة دماء المواطنين وأموالهم وأعراضهم، فليس من حق رجل الأمن استباحة الدماء والأموال والأعراض او الترخيص في التصرف فيها ومن ذلك المضبوطات او الممتلكات التي بحوزة الموقوفين فإنها أمانة ولا

(١) أخرجه مسلم حديث (٩٨)، وأخرجه البخاري حديث (٦٨٧٤)، وأخرجه

النسائي حديث (٣١١١).

(٢) صحيح مسلم ٢٥٦٤



يجوز خيانة الأمانة قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]، وهذا خطاب عام لجميع المكلفين بأداء الأمانات بجميع أنواعها المتعلقة بالذمم. وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوَّنُوا أَمَانَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقد بين الله إن من صفات المؤمنين أداء الأمانات ورعايتها، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨] والرسول ﷺ عدّ خيانة الأمانة من علامات النفاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(١)، وفي رواية «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»^(٢)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالاً صاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من

(١) أخرجه البخاري، (١٦ / ١)، رقم: (٣٣)، ومسلم، (٧٨ / ١)، رقم: (٥٩).

(٢) أخرجه مسلم، (٧٨ / ١)، رقم: (٥٩).

النفاق حتى يدعها: إذا أوّتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(١)

ويدخل ضمن أكل أموال الناس بالباطل ما يأخذه الموظف من الرشوة، والمكاسب بسبب وظيفته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ كإحالة عطاء على أحد أقاربه، أو إفشاء أسرار العمل ليستفيد من ذلك بعضهم دون الآخر وغير ذلك، وقد حذر الاسلام منها وتوعد صاحبها ومن سعى معه فيها، لأنها سحت ومال حرام، وصاحبها معرض للوعيد كما دلت على ذلك نصوص من الكتاب والسنة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبِطْلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقد لعن رسول الله ﷺ المتعاملين بها فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشى»^(٢) وعن ثوبان رضي الله عنه قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُرْتَشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ وَالرَّائِثَ) ^(٣) واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، والرشوة المحرمة هي: بذل المال للتوصل إلى

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وصححه.

(٣) رواه الطبراني وحوّد إسناده البوصيري.



باطل أو إسقاط حق، وأما ما يبذل للتوصل إلى حق فهي حرام بالنسبة للأخذ، حلال بالنسبة للباذل المضطر، والراشي: هو الذي يبذل المال ونحوه من المنافع، والمرتشي: آخذ الرشوة، والرائش: وهو الساعي بينهما.

وقال صلى الله عليه وسلم: «يا كعب بن عُجْرَةَ، إنه لا يَرُبُّو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ»^(١) والرشوة من السحت.

الرشوة في الإسلام.. محرمة بأي صورة كانت، وبأي اسم سُميت، سواء سُميت هدية أو مكافأة أو تركة، فالأسماء لا تغير من الحقائق شيئاً، والعبرة للحقائق والمعاني.. لا للألفاظ والمباني. فالرشوة محرمة في الإسلام بأي مسمى كانت سواء هدية أو مكافأة أو غير ذلك.

٧) الصبر والتحمل:

من أهم الآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلّى بها رجل الأمن هي الصبر والتحمل، لأن طبيعة عمله تقتضي منه ذلك، فهو يحتاج إلى الرباط والبقاء أوقات طويلة في الثغرات التي كلف بها في

(١) رواه الترمذي وصحّحه الألباني.



مختلف الظروف والأحوال، والصبر على تنفيذ المهمات الصعبة، إضافة الى الصبر والتحمل في تعامله مع مختلف شرائح المجتمع وأمزجته المتنوعة.

ومقام الصبر من أعظم مقامات الإيمان لأنه يكف عن اجتراح السيئات والوقوع في الشبهات ويحمي العبد عن سلوك قبائح العادات ويقويه على فعل القرب والطاعات ويثبته عند نزول المدهمات. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥)

[هود: ١١٥] وقد أمر الله عز وجل بالصبر في آيات كثيرة حتى زادت عن السبعين، وجعل تعالى لكل عمل جزاء محدودا إلا الصبر فجزاؤه بغير حساب، والصبر يحتاجه الإنسان في كل شيء عادة فالعبادة صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية. ومن الآيات التي

تضمنت الصبر قوله جل شأنه: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا

لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥)، وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ

أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، وقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ

ذَلِكَ لِمَنْ عَزِمَ الْأُمُورَ﴾ (الشورى: ٤٣).



ومن أعجب ما وصف به الصبر قول الرسول ﷺ: «الصبر ضياء»^(١)، وكلمة ضياء تلفت النظر ألا تدل على أن الصابر يرى الطريق واضحا بالصبر، وهو له ضياء ألا ترى أن هذه الكلمة تدل على عاقبة الصابر فإن عاقبته وضح وضياء، لهذا يكون الصبر ألزم لوازم رجل الأمن، وأمضى أسلحته، وأكمل عدته. والصبر على صعوبة العمل الأمني، وخطورته، أو الشعور بعدم الأمان أو الملل منها، كما أن عليه أن يصبر على أي ابتلاء أو بلاء يحصل له في عمله.

والصبر له فضائل منها:

١- الثواب العظيم في الآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿١٠﴾ [الزمر: ١٠].

٢- محبة الله قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل

عمران: ١٤٦].

٣- تحقق معية الله للصابرين قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم ٢٢٣.



٤ - خير عطاء من الله للمؤمن كما ورد في الصحيحين قال النبي ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (١)

٥ - للصابر ثلاث بشائر بشر الله بها فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧) [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

٨ العفة والنزاهة

العفة والنزاهة صفتان متقاربتان في المفهوم ولذلك جمعناهما في خلق واحد ويتضح ذلك من التعريفات الآتية:

العفة لغة:

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).



مصدر قولهم عف عن الشيء يعف عفة، وهذا ماخوذ من مادة (ع ف) التي تدل على الكف عن "القبیح" يقال: عف عن الحرام يعف عفا وعفة وعفافا وعفافة، أي كف. (١)

وقال ابن منظور: العفة: الكف عما لا يحل، والعفة أيضا: النزاهة.

العفة اصطلاحا:

قال الراغب: العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعفف هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر. (٢)

وقال الكفوي: العفة هي الكف عما لا يحل (٣)

والعفة: هي كفت النفس عن المحارم وعما لا يجمل بالإنسان فعله. ومنها: العفة عن اقتراف الشهوة المحرمة، وعن أكل المال

(١) نظرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين، مجموعة مؤلفين ص ٢٨٧٢

(٢) المفردات ٣٣٩

(٣) الكليات ٦٥٦



الحرام، وعن ممارسة ما لا يليق بالإنسان أن يفعله مما لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية، وعمّا يراه الناس من الدناءات (١)

النزاهة لغة:

أصل هذه المادّة يُدُلُّ على بُعدٍ في مكانٍ وغيره، فالنزاهة مُصَدَّرُ نَزَّهَ نَزَاهَةً، وَتَنَزَّهَ تَنَزُّهًا: إِذَا بَعُدَ، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْقَبِيحِ: نَحَّاهَا، وَالنَّزَاهَةُ: الْبُعْدُ عَنِ السُّوْءِ. وَإِنَّ فَلَانًا لِنَزِيهِ كَرِيمٍ: إِذَا كَانَ بَعِيدًا عَنِ اللَّؤْمِ. وَيُقَالُ: رَجُلٌ نَزِيهُ الْخُلُقِ: بَعِيدٌ عَنِ الْمَطَامِعِ الدَّنِيَّةِ. وَالتَّنَزُّهُ: أَنْ يَرْفَعَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّيْءِ تَكَرُّمًا وَرَغْبَةً عَنْهُ. وَفَلَانٌ يَتَنَزَّهُ عَنِ مَلَائِمِ الْأَخْلَاقِ، أَي: يَتَرَفَّعُ عَمَّا يُدَمُّ مِنْهَا (٢)

النزاهة اصطلاحًا:

(١) الاخلاق الاسلامية عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، الجزء الثاني ص ٥٨١
(٢) لسان العرب لابن منظور (٥٤٨/١٣) ، تهذيب اللغة للأزهري (٩٣-٦/٩٢)



قال المناوي: النَّزَاهَةُ: اِكْتِسَابُ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ مَهَانَةٍ وَلَا ظُلْمٍ،
وإنْفَاقُهُ فِي الْمَصَارِفِ الْحَمِيدَةِ. ^(١) وقال أيضًا: (النَّزَاهَةُ: الْبُعْدُ عَنِ
السُّوءِ) ^(٢) وقال أبو طالبِ المَكِّيُّ: (ومعنى التَّنَزُّهُ: التَّبَاعُدُ مِنَ
الدَّنَاءَةِ وَالْأَوْسَاحِ) ^(٣)

الحث على العفة والنزاهة:

يتضح من خلال المرور على بعض التعريفات المتعلقة بالعفة
والنزاهة الأهمية القصوى لتحلي رجل الأمن بهما لما في ذلك من اثر
بالغ في ادائهم وتعاملهم مع المواطنين فيبقى رجل الأمن بعيدا عن
الشبهات والتشوهات الايمانية والخلقية بعيدا عن الزلات والوقوع
في المحذورات، يقول الاستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:
(ومن لا عفة عنده يسقط في الخيانة، سواء اكانت خيانة مال
أو عرض أو غير ذلك. والعفيف المتعفف مع حاجته من أهل الجنة،

(١) التوقيف ص: ٦٩٥

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢٦٩/٣

(٣) قوت القلوب ٤٧٦/٢

والخوان من أهل النار، روى مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق، وعفيف متعفف ذو عيال».^(١)

وقد جاء القرآن الكريم بالحث على طلب الرزق الحلال، وتجنب

المكاسب الخبيثة، والنزاهة عن الأموال ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ

اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

[البقرة: ١٧٢-١٧٣] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٧٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ

وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٧٩﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩]

(١) الاخلاق الاسلامية واسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الجزء الثاني ص



ولقد ضرب فقراء المهاجرين مثلاً رائعاً في العفة، حيث كانوا - مع شدة حاجتهم - لا يسألون الناس شيئاً، بل لا يعلم بحالهم إلا من خبر نفوسهم. قال تعالى في حقهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ [البقرة: ٢٧٣] قال ابن عجيبة: ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾، أي: من أجل تعففهم عن السؤال".

وقال ابن القيم: "وصفهم بتركهم مسألة الناس، فلا يسألونهم". إن النزاهة والعفة تشملان معاني عديدة في الإسلام، ومفاهيم جميلة بين الأنام، ومن تلك المعاني: تجنب الشبهات، والحذر من الصغائر من السيئات؛ لأن الاستهانة بها تؤدي إلى كبائر المحرمات؛ ولذا جاء في الحديث أن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه؛ فعن النعمان بن بشير، قال رسول الله ﷺ: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في

الشبهات وقع في الحرام؛ كالرّاعي يرمى حول الحمى يُوشكُ أن يَرْتَعَ فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مُضْغَةٌ إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فسدت فسَدَ الجسدُ كُلُّهُ، ألا وهي القلبُ» (١)

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « يا أبا هريرة! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ، وارْضَ بما قسمَ اللهُ لكَ تَكُنْ من أَعْنَى الناسِ، وأَحَبِّ للمسلمينَ والمؤمنينَ ما تُحِبُّ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ، واكْرَهُ لهم ما تَكْرَهُ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ تَكُنْ مؤمناً، وجاورَ مَنْ جاورَتْ بإحسانٍ تَكُنْ مُسْلِماً، وإياكَ وكثرة الضحك؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فسادُ القلبِ» (٢) والورع: هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات.

ومن صور النزاهة، وأبواب العفة والكرامة: التعفُّف عن المال العام، والممتلكات العائدة للدولة والمجتمع، والتعامل بالرشوة في

(١) رواه الشيخان.

(٢) الألباني، صحيح الجامع ٧٨٣٣



إحقاق الباطل أو إبطال الحق؛ بأخذ ما لا يحل، وقد عدّها القرآن الكريم من السُّحْتِ المحرم؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النساء: ٢٩]

وقد ذمَّ القرآن الكريم اليهودَ بأنهم يأكلون السُّحْتِ؛ ليتوصَّلوا

إلى إبطال الحقِّ الواضح المبين، فقال: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٤٢﴾ [المائدة: ٤٢]

وعن أبي حميد الساعديّ قال: استعمل رسولُ الله ﷺ رجلاً من بني أسد - يُقال له: ابنُ اللُّثَيَّةِ، قال عمرو وابن أبي عمر: على الصدقة - فلما قَدِم، قال: هذا لكم، وهذا لي، أهدي لي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بالُ العاملِ نبعثه فيأتي، فيقول: هذا لك وهذا لي! فهلاً جلس في بيت أبيه وأمّه، فينظر أيُّهـدى له أم لا؟! والذي نفسي بيده، لا يأتي بشيء إلا



جاء به يوم القيامة يَحْمِلُهُ عَلَى رِقْبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا حُورٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعُرُ"، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ؛ حَتَّى رَأَيْنَا عَفْرَتِي إِبْطِيهَ :
"أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟! « ثلاثًا. (١)

وعن أبي سعيد الخدري: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نَفِدَ ما عنده، فقال لهم حين أنفقَ كُلَّ شيءٍ بيده: «ما يَكُنُّ من خير فلن أدَّخِرَه عنكم، ومَنْ يَسْتَعْفِفُ يُعْفَهِ اللهُ، ومَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، ومَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عطاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ من الصبر» (٢)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة» (٣)

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦٦٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم



وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:

«اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»^(١)

ولهذا فقد بلغ المجتمع المسلم درجة عالية من سمو الاخلاق والعفة والنزاهة فعندما فتح المسلمون مقر كسرى، بعثوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بما وجدوه من نفائس قصره بما في ذلك تاجه - ليزعها على الفقراء، فبكى عمر وقال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن قوما أدوا هذه الأمانة كاملةً غير منقوصة لأمناء". فقال علي رضي الله عنه: "يا أمير المؤمنين، عَفَفْتَ فعفوا، ولو رَتَعْتَ لرتعوا."^(٢)

فوائد العفة والنزاهة:

إن التحلي بصفة النزاهة له فوائد عديدة وكثيرة تتجاوز من يتحلى بها لتصل إلى المجتمع كله، وفيما يأتي عرض لأهم هذه الفوائد:^(٣)

(١) صحيح: رواه مسلم ٢٧٢١

(٢) الكامل في التاريخ (٢ / ٣٦٢)، و البداية والنهاية (٧ / ٧٨).

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من المؤلفين ، صفحة



١. حفاظ الإنسان العفيف النزيه على علاقة قوية بالله عز وجل، لأن النزيه دائم الاستحضار لوجود الله عز وجل ولرقيبته، وبذلك يتعد الإنسان المسلم عن جميع الأمور التي لا ترضي الله سبحانه وتعالى؛ وذلك خوفاً من الوقوع في الحرام، وخوفاً من غضب الله سبحانه وتعالى.
٢. اكتساب محبة الناس وثقتهم، خصوصاً عندما ينزه الإنسان نفسه ويرفع عما في أيدي الناس، ويسعى إلى حفظ ما في أيديهم.
٣. زيادة التقوى لدى الإنسان المسلم العفيف النزيه؛ لأنه يتحرى الخير والحلال في أموره كلها.
٤. زيادة محبة الله سبحانه وتعالى للإنسان المسلم العفيف النزيه.
٥. تُبْعَدُ صَاحِبِهَا عَنْ مَوَاطِنِ الشُّبُهَاتِ.
٦. تُبْعَدُ صَاحِبِهَا عَنْ مَوَاطِنِ الشُّبُهَاتِ.



أنواع العفة والنزاهة:

ذهب الماوردي إلى تقسيم أنواع النزاهة إلى نوعين، وفيما يلي عرض وتوضيح لهما: (١)

١. العفة والنزاهة عن المطامع الدنية:

ويعني أن يهذب المسلم نفسه ويدربها على تجنب كل ما يطمع به إذا كانت طريقة الحصول عليه محرمة وغير شريفة؛ كالحصول على ترقية في العمل على حساب ذم زميل مجتهد، إذ إن الطمع يعد من الأمور الدليلة والرديئة في الحياة الدنيا، فالطمع سببه الشر وعدم القناعة، والإنسان حين لا يقنع بما لديه يرغب في الحصول على المال بأكبر قدر ممكن؛ لأن باعته أن هذا المال سيجلب له كل شيء يرغب به في الحياة، وعلى صعيد آخر يجب على الإنسان أن يقنع بما رزقه الله سبحانه وتعالى، ويتيقن أن كل إنسان خلقه الله سبحانه وتعالى لن يموت حتى يحصل على رزقه الذي كتبه له الله

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من المؤلفين، صفحة



سبحانه وتعالى، لذلك يجب عليه ألا يسعى للحصول على الرزق بالطرق غير المشروعة والتي تتضمن معصية الله سبحانه وتعالى، ولهذا يجب أن ينزه الإنسان المسلم نفسه عن مطامع الحياة الدنيا خصوصاً فيما يتعلق بالمال الذي هو هدف لأغلب البشر.

٢. العفة والنزاهة عن مواقف الريبة:

وتعني إبعاد النفس عن المواقف التي يشوبها شك في حرمة الشيء من عدمها، وحين لا يغلب الظن على أن الأمر مباح يفضل تجنبه، وهذه درجة عالية من النزاهة، إذ إنها تبقي المسلم بعيداً بمسافة أمان كافية عن كل ما هو محرم أو خادش للمروءة.

موانع العفة والنزاهة:

قد تحول بعض السلوكيات والصفات بين الإنسان وتحليه بالنزاهة، وفي ما يلي ذكر لبعض الأمور التي تمنع الشخص من أن يتصف بالنزاهة: ^(١)



١. السعي نحو مغريات الدنيا والطمع بها، وعدم وضع الآخرة بالحسبان.
٢. حب كسب المال وجمعه بغض النظر عن مصدره.
٣. خوف الإنسان وجبته، فهذا يؤدي إلى تعرض الإنسان إلى المذلة والإهانة، كما يبعده عن صفة النزاهة.
٤. بخل الإنسان، فالبخل يولد الطمع لديه، وبالتالي فهو عكس النزاهة ومانع لها؛ لأن البخل والطمع لا يجتمعان مع النزاهة.

كيفية اكتساب العفة والنزاهة:

يمكن للمسلم أن يساعد نفسه على الالتزام بصفة النزاهة والتحلي بها بالاستعانة ببعض الوسائل التي تعينه على ذلك، وفيما يأتي عرض لأبرز تلك الوسائل: (١)

١. الدعاء، إذ يعد الدعاء من أهم الأمور التي تعين الإنسان على اكتساب ما يرغبه من أمور الخير.

(١) الكلم الطيب ٥١٩٠١ <https://kalemtayeb.com/safahat/item/>



٢. السعي نحو الابتعاد عن الطمع، وتهذيب النفس على القناعة والرضا بما قسمه الله سبحانه وتعالى له.
٣. اتصاف الإنسان بالعدل والجود، إذ إن الحرص على التخلق بهذه الأخلاق يساهم في اكتساب النزاهة.



الفصل الرابع

أحكام وأدعية تهم المقاتل والمرابط في سبيل الله

أولاً: أحكام فقهية تهم المقاتل والمرابط في سبيل الله:

(١) شراء السلاح للمجاهدين أولى أم شراء الطعام للمهجرين؟

لا شك أن كلا الأمرين مطلوب، لكن هناك أولويات وموازنات، فإطعام الجائع فيه فك أزمة، لكن دعم المجاهدين بالسلاح - عند نشوب المعركة - قد يكون فيه إنقاذ أمة! ولا شك أن إنقاذ الأمة أولى من إنقاذ جائع!

- لأن الجائع سيجد من يطعمه من المنظمات الدولية والإنسانية، ويندر أن يموت شخص جوعاً، بينما لا تجد من يدعم المجاهدين في سبيل الله إلا من رحم الله وعلى وجل!

- لأنه لا يموت بالجوع إلا أفراد بينما قد تهلك بقلة السلاح وانهيار المجاهدين أمة وتباد شعوبها.. إذن: لا شك: أن دعم المجاهدين وتأمين السلاح لهم أولى، قال ابن تيمية رحمته: «لوضاق



المال عن إطعام جيع والجهد الذي يتضرر بتركه، قدمنا الجهاد وإن مات الجيع كما في مسألة الترس بالأبرياء وأولى فإننا شتان نقتلهم بفعلنا وهنا يموتون بفعل الله^(١).

٢) جهاد المقصرين أو العصاة:

لا نقر العاصي على معصيته، ولا نرضى بأخطائه، لكن المجاهدين الصالحين غير مسؤولين عن العاصي إذا أبرؤوا ذمتهم بالنصح وبيان الحق، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨] لكن هل يصح جهاد العاصي؟ وهل له أجر على جهاده رغم استمراره على المعصية!؟

من يستطيع أن يحول بينه وبين الأجر؟ أو بينه وبين ثواب الله؟ أو بينه وبين الجنة إذا استشهد، كيف وقد قال الرسول ﷺ: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين»^(٢). ولم يفرق الرسول ﷺ بين الكبائر والصغائر، و(كل) من ألفاظ العموم، وقد جاهد مع الصحابة من

(١) انظر: الاختيارات الفقهية لابن تيمية (١/٦٠٨).

(٢) صحيح مسلم (ص: ٤٩٥) رقم: (١٨٨٦).



كان يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي رضي الله عنه، وبلاؤه مشهور في معركة القادسية حتى ظن بعض الناس أنه ملك، ثم تاب منها^(١)، فالواجب على العاصي: أن يبادر إلى التوبة فقد تكون اللحظات الأخيرة من حياته حتى يلقي الله بريئاً من ذنوبه، فالتوبة تجب ما قبلها.

لكن هذا لا يعني أن يترك المرابط والمقاتل الفرائض ويرتكب المحرمات استناداً إلى أن الشهيد سيغفر له كل شيء، فهذا السلوك هو تعمد وإصرار على المعاصي، ومفهوم غير صحيح ولا يقره الشرع.

ويجب على الجهات المتخصصة في إرشاد المقاتلين كفرق التوجيه المعنوي، من احصاء الظواهر المنطوية على بعض الأخطاء والسلبيات، وارتكاب المعاصي وإصلاح الخلل.

(١) أنظر: الإصابة في تمييز أسماء الصحابة لابن حجر، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط دار الكتب العلمية بيروت، (٧/٢٩٩).



ثانياً:

مسائل فقهية متنوعة^(١)

المسألة الأولى: لا تصح الصلاة في الثوب النجس عند الأئمة الأربعة للأمر في الآية ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُوا﴾ [المدثره]، ولكنَّ المسلم إذا لم يكن له ثوب طاهر لكونه منشغلاً بالحرب وقتال أهل الباطل والبغي فلا بأس أن يصلي المجاهد ولو كان في ثوبه دماءً للضرورة ورفعاً للمشقة، والحاجة تقدر بقدرها لكون الدم نجساً عند الأئمة الأربعة وخالف ابن حزم والشوكاني رحمهم الله فذهبوا إلى طهارة الدم.

المسألة الثانية: يشق على المسلم اصطحاب الماء في كل حالاته وعند قضاء حاجته فأجاز الشرع الاستجمار بالأحجار ولو مع وجود الماء لشحة المياه.

المسألة الثالثة: من لم يجد ماءً فإنه يعدل إلى التيمم لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ

(٢) محمد أحمد الوزير الوقشي مذكرة غير منشورة.



وَأَيِّدِكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ [النساء: ٤٣] ومن كان يحتاج الماء للشرب فليس واجداً للماء فيعدل إلى التيمم فيضرب بيده التراب (الصعيد الطيب)، ويمسح بهما وجهه ويده، ومن كان يحول بينه وبين الماء عدو يخشى لو ذهب لإحضار الماء القتل فإنه يعدل إلى التيمم بالتراب ولو كان الماء قريباً لأن وجود الماء مع الخوف على النفس في حكم غير الموجود.

المسألة الرابعة: يحرم الإسراف بالماء عند الوضوء والغسل لأن الله لا يحب المرففين ولأن المبذرين من إخوان الشياطين. ولقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بحفنة من الماء ويغتسل بأربع حفن والله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] ولكن لو أسرف في الوضوء فإنه يأثم بالإسراف ووضوؤه صحيح شرعاً. ومن خاف أن لا يكفي الماء لغسل أعضاء الوضوء ثلاثاً لكل عضو فإنه يغسل الأعضاء مرة واحدة.

ومن كان معه ماء لا يكفي أعضاء الوضوء فإنه يعدل إلى التيمم لأن الماء في حكم المعدوم لكونه لا يرفع الحدث لقلته ومقصود الوضوء بالماء رفع الحدث.



المسألة الخامسة: يجوز للمسلم المسح على البيادة إذا كان لبسها على طهارة لمشقة نزع الخف المتكرر بتكرر الصلاة وما يريد الله ليجعل علينا في الدين من حرج فجاءت النصوص المتواترة بالمسح على الخف (البيادة).

وجوز الإمام أحمد بن حنبل المسح على (الشربات) إذا كانت ثخينة وغير مخرقة.

وأجاز بعض العلماء المسح على الجوارب ولو لم تكن سميكة. ويجوز لمن لبس البيادة على طهارة أن يمسخ عليها إذا توضأ لمدة يوم وليلة للمقيم وثلاث أيام بلياليها للمسافر وأغلب أحوال المجاهدين أنهم على سفر.

المسألة السادسة: الجريح إذا كان يخشى من الوضوء بالماء أو الاغتسال الضرر كأن يتأخر شفاء الجرح أو يزداد جرحه المأفاه فإنه يعصب على الجراحة بعصابة كالشاش ونحوه، ويكفيه أن يمسخ على العصابة (الجبيرة) إذا كانت العصابة في أعضاء الوضوء، ويتوضأ بالماء لسائر الأعضاء.

فإن خاف وصول الماء إلى الجرح المعصوب إذا اغتسل أو توضأ فإنه يعدل إلى التيمم بدلاً عن الوضوء بالماء. لأنَّ



استعمال الماء يضر الإنسان في هذه الحالة ومن أصول الشريعة أنه لا ضرر ولا ضرار. ولذا يكون الماء مع خشية الضرر بالجراحة في حكم المعدوم.

وفي حالة عدم وجود الماء حقيقة أو حكماً فإن المكلف يعدل إلى التيمم إذا أراد الوضوء أو الغسل. ومن أصابته جنابة وخشي من الغسل الضرر لشدة البرد فإنه يعدل إلى التيمم. ويكون الماء البارد المضر عند الاستخدام في حكم المعدوم.

المسألة السابعة: نواقض التيمم هي نفس نواقض الوضوء، وإذا وجد الماء وقد تيمم قبل الصلاة فإنه يلزمه الوضوء بالماء إجماعاً.

ومن تيمم للجنابة فيلزمه الاغتسال بالماء حين يجده أو حين يصبح دافئاً لا يضره.

المسألة الثامنة: الخوف من الأسباب الشرعية المجوزة للجمع بين الصلاتين ومن أسباب القصر للصلاة.

فيجوز للمجاهد الجمع والقصر إذا وُجد الخوف قال تعالى:

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ

الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ [النساء: ١٠١] وتصلى الفرائض



جماعة ما أمكن بلا ضرر أما مع خشية الضرر أو غلبة الظن فلا يجوز صلاة الجماعة في هذه الحالة لأن حفظ النفس من مقاصد الشريعة وحفظها مقدم على صلاة الجماعة.

فإذا كان في موطن لا خوف فيه ولا هو مسافر فلا يجوز الجمع أو القصر.

وجمع الصلاتين بلا عذر شرعي لأجل تخزين القات فقط لا يجوز لأن هذا الجمع من اتباع الهوى ومقصد الشرع إخراج المكلف من داعية هواه إلى عباده مولاه.

المسألة التاسعة: ويصلي المجاهد الصلوات المكتوبة حسب

الاستطاعة، وما تعسر أو خشي الضرر إذا قام بركن من الصلاة فإن هذا الركن من الصلاة يسقط فيصلي قائماً فإن خاف صلى قاعداً ثم راقداً.

فإن كان الاشتباك متواصلاً وتعذرت أفعال الصلاة آخر الصلاة وصلاتها بعد توقف الاشتباك متى استطاع ذلك ولو بعد خروج الوقت ففي غزوة الأحزاب لم يستطع رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم أن يصلوا العصر إلا بعد غروب الشمس.



فإن استطاع المجاهدون صلاة الجماعة لأي فريضة فإنهم يقتسمون قسمين أو طائفتين إحداهما تحرس والأخرى تصلي ثم تحرس هذه وتلك تصلي وهكذا.

المسألة العاشرة: وجهاد غير المجاهدين من المسلمين الدعاء للمجاهدين بالنصر والفتح والدعاء على الظالمين بالخذلان والهزيمة.

ويقتنون في الصلاة بلا إطالة ولا عدوان أو تكلف في الدعاء.

المسألة الحادية عشر: والشهيد في معركة البغاة والطغاة لا يغسل ويكفن في ثيابه التي مات بها ولا يصلى على الشهيد في أرجح أقوال الفقهاء وعليه جمهور العلماء لأنَّ النبي ﷺ لم يصلِّ على شهداء أحدٍ كما في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.

ولكن لو صلى الناس عليه فلا حرج ولا يكون بدعة لوجود الخلاف بين أهل العلم في ذلك.

ويدفن الشهيد في المكان الذي استشهد فيه ولا ينقل، وأمر رسول الله ﷺ من نقل شهداء أحدٍ إلى المدينة أن يرجعوا بهم إلى مكان المعركة ويدفنون هناك.



ولا يجوز ترك جبهات القتال لحضور الجنائز صلاةً ودفناً، لأنَّ البقاء في الجبهات على المجاهدين فرض عين، وحضور الجنائز والدفن فرض كفاية.

ولا يجوز ترك فرض العين من أجل الحفاظ على فرض كفاية لأن فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين.

وكرامة الميت دفنه، وتدفن جثث العدو ولو كانوا كفاراً كما فعل النبي ﷺ بقتلى بدرٍ من الكفار حفر لهم حفرةً واحدةً ودفنهم فيها ولا يتركون حتى تأكلهم سباع الأرض والطير لما في تركهم من امتهان للإنسان المكرم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠] ولما في تركهم حتى يتعفنوا من الضرر ومن قواعد الشرع أنه لا ضرر ولا ضرار.

المسألة الثانية عشر: والتعزية مشروعة بالدعاء لأهل الميت والترحم على ميتهم ويستحب أن يصنع الطعام لأهل الميت فقد أتاهم ما يشغلهم لأنه أصابتهم مصيبة موت صديقهم والمشغول لا يشغل ويكره الاجتماع عند أهل الميت بعد الدفن لأكل أو غيره فقد



ورد في الأثر أن الاجتماع عند أهل الميت بعد الدفن من النياحة والنياحة محرمة إجماعاً.

المسألة الثالثة عشر: وكره الفقهاء تخصيص القبر والكتابة عليه فقد ورد في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ نهى أن يخصص القبر أو أن يكتب عليه.

ولا بأس بوضع حجر أو علامة يستدل بها أقرباؤه وأصحابه على قبر الشهيد لزيارته.

وإنما نهى عن ذلك لكي لا يكون سبباً في المفاخرة فإذا كُتِب اسم الشهيد وتاريخ استشهاده للتعريف لا للتفاخر ففي ذلك سعة والترك أولى.

المسألة الرابعة عشر: يجوز إعطاء المجاهد من أموال الزكاة ولو كان غنياً لأن من مصارف الزكاة (في سبيل الله) والمقصود به الجهاد والقتال من أجل نصره الحق.

وكذلك يعطى من أموال الزكاة من كان يعولهم المجاهد من أسرته وأقربائه.

المسألة الخامسة عشر: ويجوز الفطر للصائم إذا كان مجاهداً، وذلك إذا لم يخش الضعف بسبب الصوم في القتال فإن خشى



الضعف عن القتال إذا صام فإنه يأثم بالصوم ويجب عليه الفطر لأن الصوم له بدل وهو القضاء.

أما القيام بواجب الجهاد فإنه بالضعف عنه يفوت ويقدم الجهاد الذي يفوت على الصيام لأنه لا يفوت لأن له بدلاً وهو القضاء لما أفطر في أيام آخر.

ومن مات وعليه صوم صام عنه ووليّه أو أحد قرابته، ومن لم يستطع القضاء وانشغل بالجهاد حتى جاء رمضان القادم فلا حرج عليه بذلك.

فإن تمكن من الصوم فلم يصم حتى جاء رمضان التالي فإنه يقضي ما فاته ويجب عليه مع صيام كل يوم إطعام مسكين من أوسط الطعام. وإيجاب الإطعام مع القضاء رأي الجمهور وخالف أبو حنيفة فأوجب القضاء بلا إطعام وهو الراجح دليلاً والأحوط لمن كان قادراً أن يطعم مع الصوم خروجاً من خلاف الفقهاء.

فإذا انتهى القتال ووضعت الحرب أوزارها قضى ما فاته من الصيام متولياً أو متفرقاً.

المسألة السادسة عشر: ومن رفع يده مستسلماً من الأعداء وامتنع عن القتال وألقى السلاح فهو الأسير شرعاً ويجب معاملته الأسير بالحسنى قال الله تعالى ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَطْعَامًا عَلَىٰ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَيَمْسُكُونَ الْعُنُقَ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَذِيبٌ ﴾



وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ [الإنسان: ٨]، ولا يجوز قتل الأسير إلا بعد محاكمة شرعية عادلة إن ثبت عليه ما يوجب ذلك كأن يكون مجرم حرب أو من رؤوس الفتنة مثلاً.

الأعدار الموجبة للفطر في رمضان:

إذا أمرت القيادة بالإفطار في الجهاد فلا يجوز الصوم إلا بإذنها. عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ» فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَأَفْطِرُوا» وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَأَفْطَرْنَا^(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ، حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرَبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ»^(١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٨٩/٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٨٥/٢).



والأمر: (فأطروا) والتنصيب بقوله: (أولئك العصاة) فيها دلالة على وجوب الفطر وإثم الصوم، وأن طاعة الأمير حق من حقوقه للمصلحة، وله تقدير المصلحة في الإذن للبعض بالصوم إذا رأى أن الصوم لا يضعف صاحبه عن القتال.
وطاعة القيادة واجبة في الفطر من الصوم الواجب إنما تكون أثناء القتال لا في غير ذلك، أما في غير القتال فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

الأعذار المجوزة للفطر في رمضان:

هي الخوف والسفر والمرض ولكن هذه الأعذار لا قيمة لها إذا كان المكلف يقاتل مع الباطل لأن الفطر في رمضان شرعاً جاز رخصة على خلاف الأصل، لأن الترخيص لأهل الباطل في الفطر لأي عذر سيكون من التعاون على الإثم والعدوان قال الله تعالى: (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان).

ولذا قرر العلماء قاعدة شرعية وهي: الرخص لا تناط بالمعاصي. وعليه فالمقاتل مع أهل الباطل لا يجوز له الفطر في رمضان إجمالاً.

ويجوز الفطر لمن يقاتل المعتدي عليه، والذي أخرجه من دياره وأولاده، أو من يقاتل نصرة للمظلومين والمهجرين، أو من يقاتل



ناكثي العهود والمواثيق ونحو ذلك من المبررات الشرعية لقتال الانقلابيين.

وكذلك من كان يقاتل مع أهل الحق، ولكنه يقاتل رياء أو لمغنم أو مصلحة ولا يريد بقتاله أن تكون كلمة الله هي العليا، وذلك لأن قتاله إثم ومعصية وقد ورد في الحديث أنه أول من تسعر به جهنم يوم القيامة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة.

- الجرحى والأمراض يجوز لهم الفطر إذا كان الصوم يضر بهم أو يشق مع المرض الصوم مشقة خارجة عن المعتاد، وتعرف تلك المشقة بالتجربة أو إخبار طبيب عدل بأنه يضره الصوم.
- إذا قام المكلف بأي عمل فشق معه الصوم مع أنه كان لا يشق عليه سابقا فتعب تعباً شديداً وخاف الضرر الشديد فله الفطر كمن عمله في حفر الخنادق ونحوها من الأعمال الشاقة.
- كذلك من كان يصوم وهو يمارس العمل التدريبي ولكنه في يوم معين لأسباب صحية قد يجهلها أو صام بلا سحور مثلاً ثم تفاجأ في النهار أنه عطش عطشاً شديداً خاف مع استمرار الصوم الضرر الشديد فله الفطر.



- كل من جوز له الشرع الفطر لأي عذر مع قدرته على الصوم فإنه يجب عليه القضاء عدة من أيام أخر بعد رمضان ولا يتجاوز بها رمضان المقبل.
- من استشهد في أثناء رمضان أو مات وكان قد أفطر فيه فإنه لا صوم عليه أصلاً ولا يجب الإطعام عنه، لأن الأيام الأخر التي أشارت إليها الآية لم تأت عليه وهذا قول الأئمة الأربعة.
- من أفطر في رمضان وجاءت عليه أيام بعد رمضان يستطيع فيها القضاء ولكنه لم يقض ففاجأه الموت قبل القضاء فإنه يقوم بالقضاء عنه وليه وقرابته في أرجح أقوال الفقهاء وبه قال الشافعية ورواية لأحمد واختيار الشوكاني لحديث: (من مات وعليه صوم صام عنه وليه) أخرجه مسلم عن عائشة.
- وهو نص في محل النزاع فلا معدل عنه لرأي أو اجتهاد لأن من القواعد: أنه لا اجتهاد مع نص.
- من لم يستطع قضاء صوم من رمضان سابق أفطره لعذر كالمرض أو الحمل أو الانشغال بالقتال حتى جاء رمضان القادم فيجب عليه القضاء بعد مضي رمضان الحاضر لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.



- ومن أفطر من رمضان سابق وأمكنه القضاء ولكنه سوف في التأخير بلا مبرر حتى جاء رمضان القادم فإنه يجب عليه عند الجمهور قضاء ما أفطره من العام السابق مع الكفارة بإطعام مسكين عن كل يوزعه على الفقراء والمساكين.
- يستحب للقيادات الميدانية والعلماء في الجبهات ممن يراه الجند قدوة أن يفطر في الجهاد حال القتال أو حال السفر ولو كان لا يضعفه الصوم عن القتال أو لا يشق عليه السفر مشقة كبيرة، وذلك أسوة بالنبي ﷺ فقد أفطر بعد العصر في رمضان حين قدم مكة فاتحاً، لكي لا يتحرج الناس عن الفطر لكونه ﷺ صائماً.

قال العلماء: وفي حكمه كل من أصبح قدوة للناس فإنه يفطر في السفر وفي القتال ولو كان لا يضعفه الصوم حتى لا يشق على الناس مخالفته بالفطر أو يتحرج آخريين فيصومون معه مع وجود المشقة الشديدة إذا صاموا فيضعفوا عن القتال.

من كان قادراً على الصوم في السفر أو القتال بلا ضعف يلحقه فأرجح أقوال العلماء أن الفطر أفضل من الصوم وبه قال الحنابلة لقول النبي ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر» متفق عليه.



يجوز سحب الدم نهارا للجرحي إذا لم يمكن تأخير السحب إلى الليل، ولو احتاج معه الذي يقوم بالسحب إلى الفطر، لأن حفظ النفس من أحكام الضروريات في المقاصد وحفظ الضروري مقدم على الحفاظ على زمن الصوم الحاجي، ولكون الصوم له بدل وهو القضاء في أيام آخر، وفوات النفس لا بدل لها، ومن القواعد: أنه إذا تعارض ما له بدل وما لا بدل له فإنه يقدم ما لا بدل له على ما له بدل كما في مسألتنا هذه.

فإن قام بسحب الدم نهارا وواصل الصوم ولم يفطر فصومه صحيح وعليه جماهير أهل العلم خلافا للحنابلة حيث قالوا بأن الحجامة مفطرة للصوم وسحب الدم له حكم الحجامة، والراجح رأي الجمهور بأن الحجامة لا تفطر الصائم، وتكره الحجامة مع احتمال العجز عن استمرار الصوم.

والأحوط للصيام ترك سحب الدم نهارا إلا إذا خاف الأطباء في التأخير بسحب الدم إلى الليل هلاك المريض أو الجريح فالواجب السحب ويحرم التأخير حفظا للنفس فإن استمر في الصوم صح صومه وله الفطر دفعا للمشقة



أهم أحكام التلفون المحمول^(١):

في ظروف الاقتتال والحروب أصبح الهاتف المحمول (التلفون السيار) وسيلة تواصل مهمة لا يُستغنى عنها، وأصبح مرافقا للمتكلم في كل مكان، ويوسع دائرة الكلام حقا وباطلا، ويحتوي خدمات عدة كالتصوير والتسجيل والانترنت وبرامجه ووسائل التواصل الاجتماعي المعروفة، وأصبح من أكبر وسائل التجسس عالمياً.

والإحاطة بالأحكام الفقهية المتعلقة بالهاتف من أحكام النوازل المعاصرة، والكتابة فيه تحتاج إلى مؤلف واسع.

وقد لاحظنا أن هناك مسائل مهمة لها علاقة بظروف القتال والجهاد لا بد أن يعلمها المجاهد سواء كان فراداً أو قيادة.

فأردنا تعريف المرابطين والمجاهدين بأهم الأحكام الفقهية المتعلقة بالتلفون المحمول مما لها ارتباط بالقتال وظروف الحروب.

وبيان ذلك في المسائل التالية:

المسألة الأولى: الأصل في التلفون المحمول والتجسس.

الأصل في التلفون المحمول الإباحة، ولكنه إذا أصبح وسيلة

(١) محمد احمد الوزير الوقشي، مذكرة غير منشورة.



لمنوع فإنه يكون محظورا ويراعى في ذلك اعتبار الزمان والمكان، ومن ذلك فترات الحروب والقتال، لاستخدام الهاتف في التجسس من الأعداء.

والتجسس في ظروف القتال مآلاته كارثية على العمل العسكري، وأصبح التلفون المحمول من أهم وسائل التجسس المعاصرة.

وتتسع خطورة الهاتف المحمول في ظروف الحروب حين يتساهل الناس في التعامل معه.

المسألة الثانية: كثرة الكلام وتسرب الأسرار وارتكاب الآثام.

الأصل في الإسلام أن يكون كلام المسلم قليلا، وكثرة الكلام دائر بين الحرمة أو الكراهة، والتلفون يوسع دائرة الكلام بين الناس، فهو وسيلة مناقضة للأصل الشرعي، والوسائل تأخذ حكم المقاصد كما هو مقرر في القواعد.

قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤]

نفي في معنى النهي وهو من الصيغ الدالة على تحريم كثير من المناجاة والتخاطب.



وتتحقق المناجاة بالاتصال الهاتفي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

ولفظة: (خير) نكرة في سياق النفي بالحرف: (لا) وهي دالة على عموم سلب الخيرية في كثير من المناجاة، ونفي الخير يجعل الكلام شرا، والشر لا يجوز التكلم به شرعا. واستثنى النص القرآني ثلاث حالات، وليس غالب كلام الناس دائر عليها في عصرنا بل أغلبه في الكلام الذي لا خير فيه مطلقاً.

وقد ألف العلماء في آفات الكلام كتباً مستقلة تصل إلى ثلاثين آفة مهلكة.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق على صحته من حديث أبي هريرة وغيره.

ولفظة: (فليقل - وليصمت) كلها أوامر، والأمر يقتضي الوجوب، والخير الوارد في الحديث فسرته الآية بالثلاثة الحالات وهي: الأمر بالصدقة، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس.

وقال رسول الله ﷺ لمعاذ ناصحاً له: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكُ كُلُّهُ؟ أَيُّ: ملاك الخير كله.



قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ - رسول الله - بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «كُفَّ
عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤْخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ:
«تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ
أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١).

والتنبيه هنا على هذه المسألة في ظروف الحرب والقتال، مع أن
حكمها في كل زمان، لأن كثرة الكلام مفضية إلى إخراج الأسرار
العسكرية فوجب التذكير سدا للذريعة.

ولو التزمنا بأداب الشرع في الإقلال من الكلام لما وقع
الإخلال بإفشاء الأسرار بقصد أو بدون قصد إلا أن فعل ذلك مع
القصد خيانة، وبدون قصد غفلة مضرّة، ولا ضرر ولا ضرار في
الشريعة المطهرة.

والغالب أن يتواصل المقاتل مع معارفه، فيطلع على المشاكل
بما يثير همومه، ويصل إليه من اخبار الشائعات ما يوهن عزمه.

وكثرة الكلام توقع في المعاصي والآثام، والذنوب أعظم
أسباب هزائم الجيوش ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَفَى الْجَمْعَانَ

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»
وهو كما قال.



إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴿ [آل عمران: ١٥٥] وإذا كان هذا الخطاب للصحابة الكرام رضي الله عنهم فكيف الحال في هذه الأيام؟

ولذا فالواجب على القيادة إلزام الأبطال بعدم اصطحاب الهاتف المحمول بأي حال في مواطن الجبهات والقتال.

المسألة الثالثة: التناجي بالتلفون يكون بين اثنين دون الثالث وهذا الفعل مخالف للشرع فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُجْزِئُهُ»^(١) والحديث نهي عن التناجي بين اثنين، والنهي ظاهره يقتضي التحريم شرعاً.

وعليه فإنه ينبغي الاستئذان من الشخص الذي تتكلم معه للإجابة على الاتصال لكون مقاطعة الكلام معيماً شرعاً وخلقاً.

المسألة الرابعة: إفشاء الأسرار في ظروف القتال من الخيانة للأمانة.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧] وسبب نزول هذه

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم.



الآية مشهور مذكور في كتب التفسير، وذلك حين أشار أبو لبابة بيده إلى عنقه مفشيا سر رسول الله ﷺ ليهود بني قريظة. وإفشاء الأسرار إلقاء بالمودة لأعداء الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقُوتُ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْنِعَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1]

والمودة المقصودة في هذه الآية هي السر الذي أفشاه حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لقريش في عزم الرسول على غزوهم عام الفتح من السنة الثامنة.

والخيانة للأمانة، والموالاتة لأعداء الله وإلقاء المودة إليهم جرائم في الشريعة المطهرة، وكبائر عظيمة لمآلاتها الكارثية على حملة الحق والدعوة.

والعقوبة الشرعية للجاسوس راجع تقديرها إلى القضاء العادل بحسب تقرير القيادة العسكرية للأوضاع المترتبة على الجناية، وقد تصل إلى القتل تعزيرا أو السجن مؤبدا أو فترات طويلة.



والتلفون المحمول من أعظم أسباب إفشاء الأسرار وما يترتب عليها من أخطار وأضرار كالتنبؤ بالتكتيكات العسكرية والخطط، واكتشاف الهياكل التنظيمية للقيادات والفرق، والإطلاع على الاعداد ونقاط الضعف.

المسألة الخامسة: التلفون المحمول من أكبر وسائل تلقي الشائعات، والشائعات آثارها في الحرب معروفة لا تنكر مشهورة لا تستر، وما كان وسيلة إلى ممنوع شرعا فإنه محذور دينا. والشائعات من أعظم أسباب التنازع بين أهل الحق، والتنازع يسبب الهزيمة وال فشل.

المسألة السادسة: تسبب الهواتف المحمولة في معرفة أماكن القيادات العسكرية والمقاتلين النوعيين الذين هم أشد في الإثخان في العدو.

معرفة أماكن القيادات من أسرار المعركة، وفي اطلاع الخصم عليها خطورة بالغة لأنها تتعرض للاغتيالات والقتل، وفقدان القيادات في ظروف القتال من أعظم أسباب الهزائم في ساحات النزال.

والتساهل في وسائل تأمين الاتصالات خلل عسكري



وشرعي، وخيانة محلة بالأمانة، وموهنة للديانة.

المسألة السابعة: الالتزام بضوابط تأمين الاتصال واجب شرعا، والمعتبر في تحديد تلك الضوابط أهل الاختصاص، لأن من قواعد الشرع: أن ما لم يرد فيه تحديد من جهة الشرع فالمرجع فيه العرف.

المسألة التاسعة: التلفون من أعظم أسباب ظاهرة التسرب من الجبهات

لأن المشاكل تتناقل بالاتصال فتتسبب في ترك الثغور، والوقوع بين أيدي المجرمين في الاعتقال.

وترك الجبهات مع الحاجة وبلا إذن القيادة صورة من صور الفرار من الزحف المحرم بنصوص الشرع كتابا وسنة.

والفرار من الزحف محرم وما كان وسيلة إلى ممنوع فإنه محذور، سبقت الإشارة إليه في هذا الكتاب.

المسألة العاشرة: التلفون المحمول من أعظم وسائل اعتقال.

لأن المراسلات تترك آثارا كصور أو أناشيد أو محادثات فإذا رصدت أو أدركت فإنها تكون سببا في إيذاء واعتقال المتصل به



أو من وجدت تلك الصور والمحادثات عنده، والتسبب في الإضرار مخالف للشرع لحديث: «لا ضرر ولا ضرار» أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس .

المسألة الحادية عشرة: لا يجوز تداول الأرقام التلفونية في ظروف الحرب دون استئذان من الشخص، فإذا كانت تلك الأرقام لقيادات عسكرية فإن التداول بلا إذن من إفشاء الأسرار الحربية، لأن انتشارها بين الناس سيفضي بها إلى الوقوع بين يدي جاسوس ولو بلا قصد فترصد مكالماته فتضرب بسير المعركة، ومقتضى مبدأ سد الذرائع المقرر في علم الأصول، منع تداول الأرقام بلا إذن من صاحبها في ظروف الحرب لأنها كالدلالة على عنوان سكنه ليستهدفه العدو.



ثالثاً:

أدعية المقاتل والمرابط في سبيل الله

١) ما يقوله المجاهد وهو يجهز سلاحه ويهيئ نفسه للخروج للقتال:

اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أصول وبك

أقاتل، ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣مرات)

٢) ما يقوله عند خروجه من بيته:

يرفع طرفه إلى السماء ويقول: "بسم الله توكلت على الله،

اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو

أظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ." وإذا كان ميدان القتال مسافة قصر

يزيد قائلاً: "اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده. اللهم انت

الصاحب في السفر والخليفة في المال والاهل والولد".

٣) الإستعاذة من العجز والجبن والكسل:

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن

والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال، اللهم إني أعوذ بك من

الهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها فأنت خير من

زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع،



ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها.

٤) ما يقوله إذا نزل قرية أو بلدة:

اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأراضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها.

٥) ما يقوله إذا وصل إلى موضع رباطه:

عن خولة بنت حكيم السلمية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك». وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح».

٦) أدعية الاستنصار على الأعداء:

أي طلب النصر من الله على الأعداء.

١. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى



أَلْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢. ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]

٣. ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا

صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٥٠﴾

[البقرة]

٤. ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

٥. اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن

سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين

أتوا الكتاب الحق، إله الحق^(١).

٦. ومن دعاء الصحابة رضي الله عنهم: اللهم قاتل المعتدين الذين

يصدون عن سبيلك، ويكذبون رسلك ولا يؤمنون بوعدك،

وخالف بين كلمتهم والحق بين قلوبهم الرعب، والحق عليهم رجزك

وعذابك الحق^(١).

٧. ربنا أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر

لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وأنصرنا على من بغى

(١) انظر مسند أحمد (٤٢٤/٣)، الأدب المفرد (ص: ٢٤٣)، رقم: (٦٩٩).

(١) انظر صحيح ابن خزيمة (١٥٥/٢).



علينا^(٢).

٨. اللهم اجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا،
ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ
علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا^(٣).

٩. اللهم انصرنا على عدونا وأرنا فيه ثأرنا^(٤).

ما يقال عند بدء القتال:

(١) قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا
تَنَزَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾
[الأنفال: ٤٦].

اللهم انصرنا ولا تنصر علينا احداً، اللهم مكن لنا ولا تمكن
لأحدٍ غيرنا أبداً. اللهم منزل الكتاب مجري السحاب سريع
الحساب هازم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزمهم وانصرنا عليهم.
اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ربنا أفرغ
علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

(٢) من دعاء النبي ﷺ انظر سنن الترمذي رقم: (٣٥٥١).

(٣) من دعاء النبي ﷺ انظر سنن الترمذي رقم: (٣٥٠٢).

(٤) من دعاء النبي ﷺ انظر الأدب المفرد رقم: (٦٥٠)، وهو صحيح.



ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

(ربنا أعنا ولا تعن علينا وانصرنا ولا تنصر علينا وامكر لنا ولا تمكر بنا واهدنا ويسر الهدى لنا وانصرنا على من بغى علينا).
(اللهم عليك بأعدائنا اللهم احصهم عدداً واقتلهم بديداً ولا تغادر منهم أحداً. اللهم اجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا).

ومن الأدعية العامة:

اللهم أحكم خطتنا وبارك في ذخيرتنا وصبو رمينا ومكنا من رقاب أعدائنا.

اللهم احفظنا واحفظ قادتنا واحفظ اخواننا في كل المواقع وفي كل الجبهات. اللهم اكفناهم بما شئت وكيفما شئت انك على ما تشاء قدير.

اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم. حسبنا

الله ونعم الوكيل

(٨) الدعاء عند الرمي:

اللهم سددرميتي وأجب دعوتي، اللهم سددرميتي وأجب دعوتي،



اللهم سدّد رميتي وأجب دعوتي، الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

٩) دعاء من خاف عدواً:

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ

شُرِّهِمْ»^(١).

وقال الله تعالى مرشداً إلى تفويض الأمر إليه عن التخويف بالكفار:

﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران [١٧٣]

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنْ بَيْتَكُمْ

الْعَدُوُّ فَقُولُوا: حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ»^(٢).

ومعناه: بفضل السور المفتحة بـ(حم) ومنزلتها من الله لا

ينصرون، وقيل: إن السور التي في أولها حم سور لها شأن، فنبه أن ذكرها

لشرف منزلتها مما يستظهر به على استنزال النصر من الله.

١٠) ما يقال إذا رجع من غزوه ورباطه:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل

شيء قدير آيئون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده

ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

(١) من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم انظر مسند الإمام أحمد (٤/٤١٤)، والحديث حسن.

(٢) صحيح؛ أخرجه الترمذي رقم: (١٦٨٢).

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- كتب السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.
- ٣- كتب تفسير القرآن الكريم.
- ٤- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، عبد الله بن أحمد القادري:
دار المنارة - جدة، -١٩٩٢ م.
- ٥- الجهاد في سبيل الله: مكانته وأحكامه، وآدابه، محمد جميل
المصطفى، جامعة الملك خالد: السعودية.
- ٦- الجهاد في الإسلام، محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث
الإسلامي، مصر: القاهرة.
- ٧- الجهاد الإسلامي المعاصر، حسني أدهم جرار، دار البشير،
عمان: الأردن.
- ٨- زاد المقاوم، اعداد مقاومة محافظة تعز.

- ٩- مذكرات غير منشورة بعنوان «نحو النصر» إعداد شعبة الإرشاد الديني.
- ١٠- مذكرة المجاهد: ناصح بن عبد الرحمن الغزي.
- ١١- مذكرات غير منشورة بعنوان «نحو النصر»، إعداد شعبة الإرشاد الديني.
- ١٢- مذكرات غير منشورة للشيخ / محمد أحمد الوزير الوقشي.
- ١٣- أبحاث متعددة في شبكة الانترنت.
- ١٤- نظرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين، مجموعة مؤلفين
- ١٥- الاخلاق الاسلامية عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ